الفصل الرابع

نظم وعادات غريبة لدي شعوب معاصرة

- وأد البنات فى الهند .
- عملية الخصى فى الهند .
- نظم غريبة لدى بعض طوائف الهندوس .
- أعجب المدارس فى العالم .
- « السحالى الصغيرة » ... وصفة طبية من مجاهل أستراليا .
- الولد لا يرث إنما البنت فقط ... فى جزيرة سومطرة .
- الممارسة الجنسية الجماعية فى الولايات المتحدة الأمريكية .
- مصالحة الزوجة بالموسيقى على الطريقة المكسيكية !
- ..... ونظم وعادات أخرى .

obeikandl.com

obeikandl.com

• وأد البنات فى الهند:

قد يبدو الأمر فى أول وهلة ضرباً من الخيال، إلاَّ أن الحقائق التى تتسرب من بعض المناطق الواقعة فى الهند تؤكد على أن مثل هذه الجريمة مازالت ترتكب على نطاق واسع.

ففى قرية هندية تدعى «ديورا» فى الشمال الغربى من مقاطعة «راجستان» لاتوجد سوى فتاتين صغيرتين، الأولى تبلغ ٨ سنوات، والأخرى تبلغ ١٢ عاماً، أما بقية أطفال القرية فهم جميعًا من الذكور، ويرجع ذلك إلى عادة قتل الطفلة الأنثى فور ولادتها... ولايعتبر مثل هذا العمل فى هذه المقاطعة مخالفاً للقانون، وإنما هو استمرار لتقاليد موروثة... وفى الوقت نفسه يعتبر جزءًا من النظام الاجتماعى فى هذه القرى.

وتتم عملية قتل المواليد الجدد من الإناث، إمَّا من قِبَل القابلات، أو من قبل الأمهات أنفسهن، وذلك عن طريق خنق الطفلة الأنثى، أو إعطائها جرعة من السم القاتل!

ومن الغريب أن الاعتقاد بأن المرأة هى المسئولة عن جنس الجنين - سواء كان ذكرا أو أنثى - مازال قائماً؛ لذلك فإن المطلوب من المرأة أن تصوب خطأها، وتنهى العار الذى لحق بها من جراء حملها للأنثى، والطريقة الوحيدة لذلك هى قتلها.

ومما هو جدير بالذكر أن عملية قتل البنات لاتنحصر فى هذه القرية فحسب، بل هناك مناطق أخرى فى الهند تلجأ إلى هذه الوسيلة نفسها.

ومن أسباب قتل البنات فى هذه المناطق حرمان الأنثى من الإرث، وفى الوقت نفسه تعتبر وسيلة لتجنب والد الفتاة من دفع المهر للعريس المتقدم لابنته حسب العادات المتبعة فى الهند[1].

صحيح أن عادة قتل الإناث بطريقة مباشرة لم تعد كما كانت فى السابق، ولكن مع تقدم العلوم اتضح أن الهنود يلجئون الآن إلى طريقة أكثر حداثة، وهى الوسائل الطبية الحديثة التى تكشف عن جنس الجنين بعد أربعة أشهر من الحمل، فإذا مااكتشفت المرأة أن جنينها «أنثى» فإنها تلجأ إلى عملية الإجهاض، التى تعتبر صورة من صور القتل[2].

* * *

(١) خرجت الصحف الهندية أخيرًا بخبر صعقت له الهند، إذ نشرت عن انتحار ثلاث شقيقات تتراوح أعمارهن بين ١٨ و ٢٣ عامًا، واتضح أن السبب هو عدم رغبتهن فى زيادة الأعباء المالية على والدهن!

(٢) صحيفة الشرق الأوسط الصادرة فى ٢٠/ ١٠/ ١٩٨٨ (بتصرف).

obeikandl.com

• عملية الخصى فى الهند:

يعيش آخر مخصيى القرن العشرين فى الهند، ويتراوح عددهم بين خمسين ألفًا ومائة ألف يوجدون فى أنحاء الهند... وأكثر تجمعاتهم فى منطقة «بومباى» و «دلهى».. و «كلكتا» و «مدراس».

يفرضون وجودهم بتصرفاتهم وسلوكهم الشائن، بدءًا من السرقة إلى التسول والدعارة، يسيرون فى الشارع خمسة أو ستة أشخاص يرتدون السارى، ويثيرون الفوضى فى المكان الذى يوجدون فيه بأصواتهم العالية، واستفزازاتهم للمارة.

والاحتكاك بهم له عواقبه الوخيمة، فالعقيدة السائدة فى الهند أن كل رجل يفقد قدرته الجنسية هو مخصى يسمى «هيزار» †Hizarأى أنه يتقمص سبع مرات فى شخصية مخصية سابقة، وهو بالتالى يتمتع بوجهين: وجه مبارك، ووجه لعين، واللعنة هنا تتمثل فى شكل من أشكال الممارسة التى يقوم بها «الهيزار» بأن يرفع السارى ويكشف عن عورته، ومعنى هذا أن اللعنة ستحل على الشخص وعائلته ونسله، وهى وسيلة للإرهاب والابتزاز المادى والسيطرة على الشارع؛ وحتى يداروا هذه السمعة السيئة يلجئون إلى مباركة الأطفال المولودين حديثاً، بحيث يشكلون حلقة فى دار أهل المولود، فيحمل أحدهم الطفل بين يديه ويدور به مباركاً، والآخرون يقرعون الطبول

ويرقصون ويغنون «الها لرداس» "Halardas" وهى أغان دينية، فيباركون العائلة بالذكورة، إذا كان الطفل ذكراً، ويباركون بالخصوبة، إذا كان أنثى.

ومما هو جدير بالذكر أن ٩٨٪ من المخصيين فى الهند هم من أصل فقير، وهم أميون، يجهلون القراءة والكتابة، وهم مراهقون يعانون من عجز جنسى وشذوذ ومشاكل نفسية، ويعتبرون منبوذين فى مجتمعاتهم؛ لذلك يضطرون إلى ترك عائلاتهم حتى لا تمس بسوء السمعة، فينضمون إلى مجموعات المخصيين حيث يجدون الحماية النفسية والروحية تحت مظلتهم.

وتقسم مجموعات الخصيان إلى أربعة أقسام:

- الزنانة Zananas، ويقومون بالأعمال المنزلية.

- بهروبياس Bheroopiyus، ويوكل إليهم القيام بالتسول والسرقة، وهم أكثر المجموعات شراسة وعدوانية.

- الخوتيسKhotis، وهم الذين يمارسون الدعارة، وهى الأكثر ربحًا ورواجاً فى المجموعات كلها.

- جويتس Joytsies ، ويتولون مباركة الأطفال والعائلات.

هذا ويقوم المخصيون بأكثر من عمل، ويرجع ذلك إلى «الغورو»، أى القائد أو المعلم، حيث لكل مجموعة مؤلفة من عشرات المخصيين معلم أو «غورو».

ويتم اختيار «الغورو» حسب مقومات الحكمة والقدرة على السيطرة على المجموعة. .وكل أفراد المجموعة ملزمة بتقديم فروض الطاعة والاحترام له.

ويلاحظ أن العلاقات بينهم تشبه إلى حد ما العلاقة بين أفراد العائلة الواحدة، حيث يمثل «الغورو» الأم والأب.

ويعود للغورو الفضل فى حل المشاكل، وذلك بإقرار العقاب بقص شعر من يخطئ. . . وهو الذى يتسلم كل الأموال التى يجمعها أفراد المجموعة، ويقرر الموازنة والمصاريف.

ويرتدى المخصيون «السارى» فى الوقت الذى لايعتبرون فيه أنهم ينتمون إلى جنس، بل ويؤكدون أن ليس لديهم حاجات جنسية، ولاتوجد بينهم علاقات مشبوهة وهم متساوون، ليس بينهم درجات اجتماعية ولاتفرقة دينية[1].

ويشكل الخصيان نوعًا من المجتمع السرى بعاداتهم وتقاليدهم. .وهم يعبدون الإلهة «بهو شارجى» Bohuchargi. . . وماعملية الخصى إلاَّ إجلالاً وتعظيماً لها، حيث يتوجب عليهم ذلك، ومن يرفضها يخرج من حلقة المخصيين، ويعاقبون بأن يوكل إليهم الأعمال الوضيعة كالطهى وتدبير المنزل.

وحتى تتكاثر أعداد مجموعات الخصيان، يلجئون إلى شراء أطفال الأيتام والعائلات الفقيرة، وأحيانًا يخطفون الأولاد المراهقين الذين يهربون من ذويهم، فيستدرجونهم إلى أحيائهم بأساليب مختلفة.

ومجموعات الخصيان تتقاسم المناطق، وكل منطقة تسمى ملاك «Malak» فعلى سبيل المثال مدينة «بومباى» مقسمة إلى سبع مناطق، وعليها سبعة من «الغورو»، يسمون «الرءُوس السبعة»[2]. .

(١) إن تاريخ مخصيى الهند مرتبط بتاريخ أسياده، فهناك أسطورة تقول إن الحاكم «Rama» عاد بعد نفى دام أربعة عشر عامًا، واستغرب بعد عودته أن يجد مخصيين، وكان قد أعطى تعليمات قبل سفره بأن يسمح لأى رجل أو امرأة بمغادرة مملكته حين لايشعر بالأمان إلى أى جهة أكثر أمانًا، إلا أنه لم يذكر المخصيين؛ لذا عاش المخصيون فى القصور الملكية كحراس للحريم والجوارى مؤتمنين على الأسرار، وكجواسيس، خصوصًا فى الحقبة التى حكمها المغول، والتى انتهت عام ١٩٥٧ ففقد المخصيون الامتيازات الممنوحة لهم، فأصبحوا جماعات متفرقة، ومملكتهم الشارع.

(٢) هؤلاء الرءوس السبعة يتصرفون كرجال أعمال حقيقيين، ولكن فى المجالات الفاسدة المنحرفة، كالسرقة، والدعارة، والتسول، وغير ذلك، وهم يربحون أموالا طائلة من جراء ذلك.

ويلاحظ هنا أن أهمية كل «غورو» تعود إلى عدد أتباعه.

وهذا «العالم» الذى يعيش فيه الخصيان حتى الموت له عندهم مراسم خاصة وغير عادية، فجنازاتهم تُقام فى الليل، حيث يوضع الميت بشكل أُفقى ليتم حرقه نهائياً، ويقف أفراد المجموعة حوله يبصقون عليه ويشتمونه؛ لاعتقادهم أن روحه ستتقمص «هيزار» رمز اللعنة، ولن تحل فى جسد مخصى آخر.

ويعبد كل المخصيين فى الهند الإلـهة «بهو شارجى»... ويوجد معبدها فى قرية تحمل الاسم نفسه[1]... وهى مزار الخصيان، وتعتبر فى «الميثولوجيا» الهندية رمزًا للطهارة والخصى الذاتى؛ لذلك اتخذها المخصيون إلـهة لهم.

وللإلـهة «بهو شارجى» قصة، مفادها أن عذراء صغيرة السن تنتمى إلى «الشافاناس»[2] كانت مهددة بالاغتصاب من قبل قطاع الطرق، وحتى لاتفقد عذريتها قطعت ثدييها وقدمتهما إلى رئيس العصابة قائلة: «هأنذا أضحى بنفسى حتى أحفظ شرفى، لكن قبل أن أموت سألعنك، وستصبح مخصياً، وحتى تغتفر عقوبتك ستبنى لى معبًدا يحمل اسمى».. وهذا ما فعله، فقد بنى المعبد، وخصى أتباعه أنفسهم إجلالاً للإلـهة «بهو شارجى»، حتى كرست إلـهة للمخصيين.

والإلـهة «بهوشارجى» تتمثل ممتطية ديكًا، وتلبس السارى، وتتمتع بوجهين وشخصين، امرأة ورجل فى جسد واحد[3]..

وعملية الخصى الكلى عند الهنود مهمة جداً، وهى تتم فى عمر العشرين عادة فى احتفال يسمى «النرفانا»Nirvama. ولايتم ذلك إلا بعد أن يُهَيَّأ

(١) تقع فى شمال ولاية جوجارات

(٢) طبقة اجتماعية مرموقة فى الهند.

(٣) مجلة الشاهد، عدد مارس ١٩٩٠ (بتصرف)

الشخص المطلوب خصيه روحيًا ونفسيًا[1]، وهذا يعنى نهاية الحياة السابقة وبدء الحياة الجديدة، وتحديد يوم «النرفانا» يرجع إلى «الغورو» راعى المجموعة ومعلمها، الذى يصلى للإلهة «بهوشارجى»، ويقدم إليها عدة أكواب من جوز الهند، فيقسم عدد الأكواب إلى نصفين، فإذا تبين أن الأكواب طازجة فهذا يعنى أن الإلهة راضية عن عملية الخصى فى موعدها.

وتتم «النرفانا» فى يوم ومكان سريين، وبدون تخدير، باستثناء بعض الكحول والأفيون... ويقوم بعملية البتر كاهن الإلهة، ويدعى «دایاما»Daima.

ويستسلم الشخص المزمع خصيه بعد أن يُعَرَّى تماماً، واضعًا يديه خلف رقبته، ويتمتم: «ماتا..ماتا..ماتا» فى حين يمسك «الغورو» عضوه بعد ربطه كاملاً، ويثبت مخصى آخر قدميه على الأرض وقد التف حوله مجموعته من المخصيين تصلى للإلهة «بهوشارجى» بأصوات مصحوبة بهستيريا جماعية، وقد عبقت الغرفة برائحة البخور والزيوت المحروقة، والدخان يتصاعد.

---

(١) من هذه النماذج صبى فى الرابعة عشرة من عمره يروى قصة خصيه على شاشة القناة الأولى فى التليفزيون الفرنسى فيقول: ولدت فى قرية «شوتاأودبر» فى ولاية هندية، وهربت من أهلى الفقراء لأبحث عن عمل فى مدينة أخرى بالهند، فكان لقائى بمجموعة من الخصى استدرجتنى إلى شارع عرفت بعد ذلك أنه يقع فى منطقة المخصيين، هددونى بالقتل حرقًا إذا حاولت الهرب، وأجبرونى على ارتداء السارى، وهناك تعلمت وتدربت على أعمالهم: التسول، والغناء، والرقص... وبعد شهر قرر «الغورو» إن يجعل منى مخصيًا حقيقياً، فأخذونى فى الساعة الواحدة صباحًا فى أحد الأيام إلى مكان مجهول، وألقونى فى غرفة بعد أن عرونى تمامًا، وأشعلوا قنديلاً من الزيت للآلهة... ثم وضعوا يدى خلف رقبتى وكمموا فمى، وفى الحال تقدم «الكاهن» عرفت فيما بعد أنه كاهن المعبد، وفى يده سكين كبيرة حادة، وأمسك بعضوى وقطعه فى لحظة خاطفة، دخلت فى غيبوبة استمرت أسبوعًا كاملاً وعالجوا جراحى ٤٠ يومًا بالزيت الساخن، بعد أن وضعوا أنبوبًا حديديًا فى المجرى البولى حتى لايلتحم، وبعد أن شفيت أعطانى «الغورو» اسما نسائيا، وصرت من بعدها أحد أفراد مجموعة المخصيين.

وفى هذه الأجواء، يتقدم «الدايا‌ما» ممسكاً بيده سكينًا كبيرة حادة، وبحركة سريعة وخاطفة يبتر العضو. وبالسرعة نفسها يقوم «الغورو» بصفع المخصى الجديد على وجهه بكل قوة منعًا للإغماء السريع، وفى الحال يقع المخصى على الأرض يسبح فى بركة من الدم... وتعالج جراح المخصى الجديد بالزيت الساخن، ثم يُحجر عليه فى مكان ما لمدة أربعين يومًا، وبعد أن يتماثل للشفاء يلتحق بمجموعته، فتقدم إليه الهدايا من الساري والمجوهرات وخلافه.

ويعطى المخصى الجديد اسمًا جديدًا وهوية جديدة... وجرت العادة أن يكون الاسم نسائيًا.

وهذه «النرفانا» قد تكلف الإنسان حياته، إذ أن ٤٠٪ يموتون من جراء العملية أو بعدها، غير ٤٠٪ يظلون فى حالة معاناة من التهابات مزمنة من تلك العملية.

لذا يعتبر المخصيون الباقون على قيد الحياة كأنهم وُلدوا من جديد[1].

* * *

(١) وشبيه لما يقع فى الهند من عملية الخصى التى أشرنا إليها سالفًا من توقيت وملابسات مانجده فى كتاب «الخصى فى نابولى» للكاتب «دومنيك فرنانداز» إذ نقف على عالم المخصيين فى نابولى بإيطاليا تحت حكم الملك «فرديناند»، حيث أخضع المغنين لعملية بتر الخصية بين سن السابعة والثانية عشرة ليحتفظوا بأصواتهم الطفولية... وانتشرت هذه العادة فى إيطاليا فى الوقت الذى لم يكن يسمح فيه للنساء بالغناء فى الكنائس.
وبدءا من القرن السادس عشر دخل الخصيان الكنائس بغرض الترتيل.
وكان الحلاقون يقومون بعملية الخصى بالإضافة إلى الحلاقة وطب الأسنان وبدون أية إجراءات وقائية... وكانت العملية تتم بسرعة. وكان الخصيان يتلقون دروسهم الموسيقية فى مدرسة نابولى على مدى عشر سنوات من الجهد المتواصل، حتى برع منهم الكثير، وكان الإقبال عليهم شديدًا فى أكثر مسارح أوربا. وكان كبار الموسيقيين، أمثال «موزار» «وهيندبل» «وروسيتى» يؤلفون مقطوعات خاصة لأصوات المخصيين
وفى ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية يستطيع بعض من ارتكب جرائم الاغتصاب أن يطلبوا العفو والخروج من السجن بعد عملة خصى يخضعون لها.
ففى عام ١٩٨٣ وافق مجرم متهم باغتصاب ممرضة مع اثنين من رفاقه ويبلغ السابعة والعشرين من العمر ويدعى «روسكوجايمس» على إجراء عملية الخصى. وهذا نموذج من تلك النماذج التى تقبل على هذه العملية تكفيرًا عن جرمها الذى أقدمت عليه.

• نظم غريبة لدى بعض طوائف الهندوس:

من الاعتقادات الغريبة عند بعض طوائف الهندوس[1] تقديسهم للحشرات، لدرجة أن المتطرفين منهم إذا ساروا فى الطرقات أمسكوا بأيديهم سعف النخيل يكنسون به الطرقات أمامهم، خشية أن يسحقوا هذه الحشرات المقدسة، فيرتكبوا بذلك خطيئة كبرى قد تودى بهم إلى الجحيم!

وتغالى الأقلية المتعصبة فى هذا النوع من العبادة، حتى إنهم ليرفضون قتل برغوث أو قملة أو بعوضة ويتركونها تمتص غذاءها من دمائهم، مع علمهم بأنها تحمل ميكروب الطاعون أو التيفوس والملاريا الخبيثة.

كما أن للأشجار الكبيرة قدسيتها لديهم؛ لذلك لايسمح لبستانى أن يقطع أى فرع منها، أو يهذبها، فتترك تنمو على فطرتها، وتتكاثف أغصانها وتتشابك فروعها، مما يعوق المرور فى بعض الأحيان[2].

ومن تعاليم الدين البرهمى حرق جثة الزوجة مع جثة زوجها الذى مات، ولاسيما إذا كان من علية القوم... وهذا النظام يعرف بنظام «السوتى».

---

(١) من المعروف أن الديانة الهندوسية تقوم أصلا على عبادة الروح وتقديسها، ولو كانت لأحقر الحيوانات والحشرات.

(٢) وبسبب هذه الأشجار الكثيفة يشتبك الهندوس والشيعة من المسلمين، حيث إن للشيعة هناك مظاهرات دينية يحملون فيها المشاعل والبيارق، وقد يحدث أن تمر تلك المظاهرات بمناطق تشابكت أغصان أشجارها، فيتعذر عليهم المرور تحتها بما يحملون، فيأبى عليهم كبرياؤهم الدينى إنزال ما بأيديهم فيعون إلى تحطيم الغصون؛ ومن ثم تنشب المعركة فيما بينهم

وقد استمر الهندوس يمارسون عادة إحراق الأرامل حتى بعد احتلال الإنجليز لشبه القارة الهندية. . . فلم يجد الإنجليز فى بادئ الأمر مايدعوهم إلى إلغاء عادة يتمسك بها أهل البلاد من «الهندوس» تمسكاً شديداً، ومع ذلك ففى عام ١٨٢٩ أصدر حاكم الهند الإنجليزى فى ذلك الوقت تشريعًا يقضى بحظر هذه العادة، واعتبار كل من يشارك فيها مرتكبًا لجريمة قتل عمد.

ولم يستتبع هذا التشريع القضاء فى الحال على هذه العادة، ولكن مع انتشار التعليم وغيره من المتغيرات الاجتماعية أدى إلى انحسارها، فقلَّ الالتجاء إليها، ومن ثم أصبحت لاتمارس إلا فى حالات نادرة.

والغريب فى الأمر أنه برغم مرور أكثر من قرن ونصف على حظر عادة إحراق الأرامل، فما زالت تَمارَس بين الحين والآخر حتى وقتنا الحاضر.

ومن الجدير بالذكر أن «البراهمة»[1] يغرون النساء بالأمل فى أنهن إذا متن مع أزواجهن على هذا النحو فسوف يعشن مرة أخرى معهم فى جزء ما من العالم حياة أكثر سعادة وراحة من حياتهن السابقة.

فضلاً عن ذلك فإن حالها بعد موت زوجها كان يدفعها لأن تكره الحياة، وتفضل الصعود إلى المحرقة لكى تُحْرَقَ حية مع جثة زوجها الميت، بدلا من أن ينظر اليها الجميع نظرة الخزى والعار طيلة ما بقى من عمرها.

وكانت الأرملة قبل أن تحرق نفسها مع جثة زوجها عليها أن تحصل على إذن بذلك من حاكم الجهة التى تعيش فيها، وبمجرد أن تحصل الأرملة على الإذن، تبادر قريباتها وصديقاتها بتهنئتها على النعيم الذى سوف تناله فى العالم الآخر، وعلى المجد الذى سوف يحظى به كل أفراد عشيرتها بفضل

(١) رجال الدين عند الهندوس.

قرارها النبيل، ثم تضع ثيابها كما لو كان اليوم يوم عرسها، ويقودونها إلى المكان الذى سوف تحرق فيه... ويحدث كثير من الصخب نتيجة الآلات الموسيقية وأصوات النساء اللاتى يتبعنها، يغنين الأناشيد فى تمجيد الأرملة التعسة التى على وشك الموت، فى حين يحثها البراهمة الذين يصحبونها على إظهار العزم والشجاعة.

وتجلس المرأة مسندة رأسها إلى مخدة من الخشب، وظهرها إلى قائمة خشبية، ويتولى أحد البراهمة وثاقها من منتصف جسدها، خشية من هربها عندما تشعر باللهيب... وفى هذا الوضع تمسك بجسد زوجها الميت على ركبتيها... وبعد أن تمضى نصف ساعة وهى على هذا الوضع تطلب إلى الكهنة إشعال النار، وفى الحال يسارع البراهمة وأقارب المرأة وأصدقاؤها إلى إشعال النار ملقين فيها بأوانى الزيت للإسراع بإحراق المرأة والإقلال من فترة معاناتها.

وبعد أن يتحول الجسدان إلى رماد يأخذ البراهمة كل ما يعثرون عليه من ذهب أو فضة أو أى معدن نفيس من الأساور، أو الأقراط، أو الخواتم التى كانت تحملها، ويغدون ذلك حقاً لهم[1].

* * *

(١) من ضلالات البشر : د. محمود سلام زناتى [المجلة العربية عدد أكتوبر ١٩٨٨] (بتصرف)

● أعجب المدارس فى العالم:

فى موريتانيا توجد أعجب المدارس فى العالم، حيث يجلس التلاميذ على قارعة الطريق يقرءون ويحفظون القرآن الكريم، والأدب العربى، والتاريخ، والسيرة، والفقه... وهم مازالوا يكتبون على ألواح انتزعوها من الأشجار، ويكتبون عليها بأحبار مستخرجة من الثمار. كانت هذه المدارس منتشرة فى كل شارع، أما اليوم فقد بُدِئ فى بناء المدارس.

وأحيانًا يكون الطالب فقيرًا معدمًا، فيساعده أهل الدشرة «البلدية» بالمال والغذاء، ويتبرع بعض الناس بمنازلهم لينام فيها الطلبة.. ولايطلب صاحب المدرسة وأستاذها أى أجر عن التعليم، وإنما يفعل هذا العمل الجليل لوجه الله الكريم، لايريد ثوابًا إلا منه وحده.

* المجد العريق:

مازال أغلب أهالى موريتانيا يعيشون على هذا المجد العريق الذى يتمثل فى أنهم رسل معرفة إلى الأشقاء من أبناء إفريقيا... وعلى هذا الاعتقاد ينامون ويستيقظون... لايفكر الواحد منهم فى التطوير أو التبديل، بل على العكس جمدوا كتب أجدادهم[1] المخطوطة داخل حقائب حديدية مغلقة، لا

(١) من المعروف أن أجدادهم قد أتموا نشر الإسلام فى السنغال منذ مئات السنين.

يفتحها أحد، واستكانوا إلى حياة الدعة والخمول، واختفى العلماء، وانتشر الجهل، وشاعت الخرافات، وأصبحوا يحيطون رقابهم بالأحجبة والتعاويذ لحمايتهم من عين الحسود، ومن الساحرات السود!!.. واحتقروا الزراعة، واتخذوا من البداوة والترحال والرعى أساسًا للحياة، ينتقلون مئات الكيلومترات على ظهور الجمال وراء الكلأ والماء، ويعيشون فى فراغ هائل تحت خيام، يشربون حليب الناقة، ويرتشفون عشرات الأقداح من الشاى الأخضر... ويعتبرون المرأة قطعة من المتاع.

*** من العادات الغريبة في موريتانيا:**

من العادات الشائعة فى موريتانيا أنهم يخلطون حليب الماعز مع حليب الناقة مع قليل من الماء والسكر، ويشربونه عندما يكون الجو حارًا، أما فى الأيام الباردة فيشربون الحليب صافياً.

كما أنهم يشربون الشاى إلى حد الإدمان... وتبدأ عملية تحضير الشاى وسط الجالسين بوضع الفحم فى الموقد، ويبدأ «القائم» - أى المشرف على تحضير الشاى - بوضع الماء فوق الفحم حتى يغلى تمامًا، فيسكبه فى إبريق فضى به الشاى الأخضر، يضيف إليه النعناع والسكر المصنوع على هيئة قوالب «شكل مخروطى كبير»...ثم يصب الشاى فى الأقداح الصغيرة المتراصة أمامه، ومايكاد ينتهى من تعبئتها حتى يعاود تفريغها فى الإبريق الفضى ثانية، ليتم الامتزاج تمامًا بين الشاى والنعناع والسكر، وبعدها يصب «القائم» جرعة من الشاى فى قدح صغير، ويأخذ رشفة منه لمعرفة درجة جودته وحلاوته، فإذا رأى إضافة غصن نعناع أو قطعة سكر أضافها، ثم يعاود عملية الخلط من جديد، ويأخذ جرعة على سبيل التجربة، فإذا وجده مستساغًا حلوًا سكبه فى الأقداح الصغيرة، وقدمه للجالسين ليشربوه بنهم زائد.

ومن الناس من يقدم سبعة أقداح من الشاى فى الجلسة الواحدة، يقتلون الوقت خلالها.

وبالنسبة للمرأة الموريتانية فإنها تحرص على اقتناء خلخالين من الفضة، تضعهما فى قدميها منذ صغرها، وتبيعهما عند الحاجة... ومما يذكر أن الفضة المستعملة فى صنعهما يجلبها الحجاج معهم عند عودتهم من السعودية على هيئة ريالات.

والمرأة فى «موريتانيا» لاتُقبل على التعليم، وإنما على العمل فى زخرفة الجلود، وصُنع الوسائد، والحقائب، وسروج الجياد والجمال..

وتتوارث الفتاة هذه المهنة عن أمها منذ صغرها.

ويطلقون كلمة «مكركبة» على الوسادة، ويستغرق عملها ثلاثة أيام، وتتجمع النساء حول الخيام والعشش، ويشتركن فى زخرفة الجلود وصنعها.

ومن الجدير بالذكر أيضًا أن المرأة الموريتانية تعيش على هامش الحياة كأنها متاع يُباع ويُشترى، ولارأى لها ولاصوت، إلا أنها فى بعض المناطق قد أُعْطِيَت جميع حقوقها، كمنطقة «شنقيط»، حيث تعد المرأة هناك أكثر نساء موريتانيا نشاطًا وعملاً، وفى نفس الوقت أكثر تمسكًا بتقاليدها، حيث تعد هى الوحيدة -دون النساء - التى مازالت ترتدى «الملفحة» السوداء، لم تبدل لونها بالأزرق أو الأبيض كبقية نساء موريتانيا.

ومن العادات المألوفة أن تتجمع الفتيات على حافة الغدير، وتبدأ الأنامل الناعمة فى الدق على الطبول وهز الأوتار، وتشدو إحدى الفتيات بنغم هادئ رقيق تردده بقية النساء من بعدها، وتسرع الأكف فى دقاتها على الطبول، ويعلو غناء الفتاة، وتنتشى زميلة لها بالغناء والطرب، فتقف وسط

(١) موريتانيا الجنوبية: استطلاع بمجلة العربى العدد ١٢٩ (بتصرف)

المجموعة تتمايل وتحرك يديها وساقيها مع الأنغام بحرارة. . .فى حين يجلس الرجال يـتمعون إلى غناء زوجاتهم وبناتهم بدون أن يجدوا فى ذلك أى غضاضة، بل قد يشتركون فى الغناء مع الفتيات.

* * *

فى منطقة «شنقيط»[1] بموريتانيا إذا مرض أحد السكان فلابد أن تنقله سيارة خاصة إلى المدينة؛ لأن الطبيب لايحضر إلى «شنقيط» سوى مرة واحدة كل عدة شهور.

وإذا شعر أحد السكان بألم فى أسنانه، فليس هناك طبيب أسنان، وإنما يوجد رجل «خبير» أشبه «بحلاق القرية» القديم يقوم بنزع السِّنَّة المريضة بالكلابة، بدون أى مخدر، ويضع مكان الجرح ملحًا مجروشًا وقليلاً من الزبد، وينصحه بتناول شوربة اللحم!

أما إذا تسوس الضرس ولم يشأ أن يخلعه خوفًا على حياته، وَجَد له «طبيبه المداوى» علاجًا آخر، فسرعان ما يضع له فى تجويف الضرس قليلا من الفلفل الأحمر لتسكين الألم!

* * *

(١) كانت «شنقيط» القديمة واسمها «آبير» مدينة عظيمة تموج بالنشاط العلمى وتعج بالسكان العرب المسلمين، محافظة على إقامة حدود الله وفقًا للتعاليم الإسلامية وتشريعاتها، حتى حدث أن ارتكب أحد عظمائها جريمة قتل، وكانت العقوبة الواجبة هى القتل، لكن الخوف من حرب أهلية جعل كبار المسئولين يكتفون بنفى القاتل، فغضب أكثر الأهالى لإهمال حدٍّ من حدود الله، فهجروا مدينتهم إلى مختلف أنحاء موريتانيا. . . واجتمع القاتل بثلاثة من أهل شنقيط وقرروا بناء شنقيط جديدة على مسافة ميلين من القديمة، وازدهرت المدينة الجديدة فى حين هُجرت شنقيط القديمة

فى منطقة «سفرو» بموريتانيا - من العادات الملزمة التى تحتم على كل من يصل إليها لأول مرة أن يقدم خروفًا أو ماعزًا هدية لأهل البلد.

وفى موريتانيا ـ أيضاً ـ كان الملح - ومازال، ولكن على نطاق ضيق جدًا - هو عملة التبادل الوحيدة بين سكان الصحراء الأصليين. يتعاملون به كما لو كان ذهباً أو فضة!!

ووصف ابن بطوطة هذا بقوله: «والمسافر بهذه البلاد لايحمل زادًا ولا إدامًا، ولادينارًا ولادرهمًا، وإنما يحمل قطع الملح وحلى الزجاج»... والسر فى هذا الإقبال الغريب على ملح الجبال هو اعتقاد أهل إفريقيا السوداء، بأن هذا الملح يحوى قوة دافقة تنعشهم وتقويهم... وهذا لا يعنى أن موريتانيا فقيرة، بل على العكس، فإن فيها من المعادن والثروات والمياه مالا يوجد مثيل له فى أى بلد عربى آخر، ولكنها مازالت أرضا بكرًا لم تمسها يد، وثرواتها دفينة تحت رمالها.

فى موريتانيا كذلك يحرصون على ارتداء زيهم المميز «الدراعة»، وهى عبارة عن عباءة خاصة مفتوحة من الجانبين وبلا أكمام، وغالبًا مايكون لونها أزرق، وتشبه «البرنس» الذين ينتشر فى تونس والمغرب.

أما النساء فيرتدين «الثوب» الذى يشبه ما ترتديه النساء السودانيات... وكثيرا ماتحمل النساء أطفالهن خلف ظهورهن.

ومن النادر ألا يحمل أحد منهم الحجاب الذى يُوضع بحرص فى كيس جلدى ويُغلق جيدًا، ويُربط فى الذراع، أو يُعلق على الصدر... بل ومنهم من يحمل أكثر من حجاب: أحدها للحسد، والثانى لطول العمر، والثالث لمواجهة الفاقة، وما تحملُهُ الصحراء الواسعة من مجهول.

هذا، ويطلق على الحجاب هنا اسم «حرز الناقة»... ويكتب هذه الأحجبة رجال يعيشون فى أعماق الصحراء.

*** عادة صومالية:**

فى الصومال[1] يقسم الصومالى ذبيحته إلى سبعة أجزاء، يقدم الصدر وإحدى الأرجل الأمامية إلى العلماء أو النبلاء أو كل من يحترمه، ويقدم الظَّهْر لرب الأسرة. أما الأفخاد فَتُقَدّمُ لفتيات العائلة، أمّا الرقبة والحلقوم فتقدم للنساء المتزوجات، وأما الكفل فيقدم للخدم... والقسم الأوسط أو مايسمى «بيت الكلاوى» فَيُقَدَّم صدقة لروح فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم... وأما الذيل فيقدم للعجائز... أما الرأس والكبدة والكلاوى فلاتؤكل، بل ترمى إلى الحيوانات المفترسة.

* * *

*** يتعرضون للموت كل يوم من أجل لقمة العيش:**

من المألوف أن يرتزق الناس من أعمال عادية، غير أنه هناك مهنة يحصل منها البعض على لقمة العيش من بين أنياب الموت.

ففى بلدة «أبورواس» بمصر يوجد قطاع كبير من الأهالى يرتزقون من صيد الثعابين السامة والعقارب[2]، ويتعرضون للموت كل يوم عدة مرات من أجل الحياة.

---

(١) مما هو جدير بالذكر أن المجتمع الصومالى مجتمع رعوي، فالغالبية العظمى من الشعب يمتهن الرعى، حيث إن ٨٠٪ من سكان البلاد يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بهذه الثروة الحيوانية الهائلة التى أفاء الله بها على هذه البلاد، لذلك ارتبطت حياة سكانها بالحيوان.

وهم يرون أن الرعى أفضل عمل يزاوله الإنسان، ويكفى أنها كانت حرفة رسول الله صلي الله عليه وسلم التي زاولها فترة من فترات حياته، لذلك تأثرت حياة الصومالى بمهنة الرعى، وانطبعت عاداته وتقاليده بتلك البيئة الرعوية البسيطة.

(٢) يذكر شيخ الصيادين أن فى مصر حوالى ٣٦ نوعًا من الثعابين والحيات، أخطرها الأنواع السامة، «كالكوبرا» و «البخاخ» و «والبرجيل» و «الطريشة». أما الأنوع غير السامة من الثعابين «كالأرقم» «والشوكارى» «والبسباس» و«أبوالسيور» فهى تعيش فى تلال الرمال، وتحت صخور الجبال، وفى المزارع والحقول. =

وهذه الحرفة تتوارثها عائلة واحدة لايزيد عدد أفرادها على مائة شخص، يمـكون الحيات السامة بأيديهم، ويدربون أطفالهم الصغار على إمساك الثعابين السامة والعقارب، ويبيعون حصيلة الصيد لحديقة الحيوان، ومعامل المصل، واللقاح التابعة لوزارة الصحة.

ومن الغريب أنهم يستطيعون التفرقة بين الثعابين السامة وغير السامة، وذلك من خلال التعرف على شكلها ولونها وأثرها، حيث يوجد فى نهاية ذيل الأنواع السامة ظفر يترك أثرًا واضحًا فى الرمال، بعكس الأنواع العادية.

كما أن الثعبان السام يتحفز للهجوم إذا اتجه إليه الإنسان، فى حين يكتفى الثعبان العادى بالفرار.

وتـستطيع هذه العائلة الصيد بمهارة فائقة، وذلك عن طريق إثارة الثعبان السام بواسطة عصا طويلة ليخرج من الجحر، وقد يحفر الجحر بأداة تشبه الفأس ليصل إلى النتيجة نفسها، وعندما يندفع الثعبان السام للهجوم عليه يضغط الصياد على رأسه بالعصا ليمنعه من اللدغ، ثم يمـسكه بطريقة خاصة ويضعه فى كيس من القماش، علماً بأن أى خطأ فى هذه العملية يكلف الصياد حياته(١).

***عادات تقليدية في بلاد النوبة:**

فى بلاد النوبة بمصر يُعَدُّ الإنجاب أهم حدث فى دورة الحياة عند النوبيين؛ لأنه فى نظرهم بمثابة الأمان للمرأة، وخاصة ولادة الأطفال الذكور، حيث يُعد ضماناً لإعالة المرأة ورعايتها فى المستقبل إذا ماترملت، فضلاً عن أن الرجل إذا افتقر إلى الأنباء الذكور يجد دافعا كبيراً للزواج مرة ثانية.

= وللثعابين عادات عجيبة، فهى تتزاوج فى فصل الربيع..وربما يتقاتل ثعبانان من أجل أنثى واحدة، وقبل التلقيح يرقص الذكر والأنثى «رقصة الغزل»، وبعد أن يتم التلقيح ينفصلان ولا يعرف أحدهما الآخر.. وهى تعمد إلى البيات الشتوى مع انخفاض درجات الحرارة، وذلك فى الكهوف، والجحور، وفجوات التلال، وتحت فروع الأشجار العفنة.

(١) وذلك لأن سم الثعبان يدمر الجهاز العصبى، ويتلف أجزاء المخ المسيطرة على التنفس أو يهدم الأوعية الدموية الصغيرة،ويسبب نزيفًا داخلياً قاتلاً.

ولحماية المولود من «العين والحسد» يوضع للمولود حجاب صغير فى رقبته لمدة أربعين يومًا.

وفى الليالى الأولى من الشهر القمرى الجديد يوضع فى فناء المنزل إناء كبير فيه نار مشتعلة، منثور عليها الملح... وعلى الأم أن تخطو فوق هذا الإناء سبع مرات، وبعدها تغسل يدى الطفل وقدميه فوق وهج النار المشتعلة، وبانتهاء ذلك يبطل مفعول العين الشريرة فى نظرهم.

ومن أبرز مظاهر الأحتفالات لديهم الزواج الذى يصاحبه موكب كبير يسمى «الشيلة»، وهو يوم إعلان القبول والموافقة من أهل العروس، والذى يعقبه موعد «الوجاهة»، الذى يقدم فيه العريس الحلى.

ومن التقاليد المرعبة لديهم أن تخفى العروس البلح فى ملابسها يوم زفافها، ويضع العريس الخنجر تحت وسادته.

وفى ليلة الزفاف يجلس كبار السن من العائلة؛ ليقدموا «النقوط» حيث يقوم المدعوون بتقديم «النقوط» للعروس أو للعريس.

ويتم تسجيل «النقوط» فى دفتر حتى يردها العريس فيما بعد.

وفى «الصباحية» يتوجه العريس مع أصدقائه إلى شاطئ النيل ليرش ماءه على وجهه، ثم يأخذ نباتاً أخضر ويعود ثانية إلى منزل العروس.

وبعد انصراف الأصدقاء تذهب العروس إلى حجرة العريس، ويبدأ محادثتها فتأبى إلى أن يبدأ فى عرض مبلغ من المال عليها مقابل حديثها، ويتدرج المبلغ المدفوع فى الزيادة إلى أن تقبل العروس محادثته!

هذا، وتترك العروس زوجها كل صباح لتقضى النهار فى منزل أهلها وتعود إليه فى المساء، وذلك لمدة أسبوع كامل.

ويحرص العريس خلال هذه الفترة على الذهاب إلى النيل، ويعود بنبات أخضر فى يده متفائلا.

وبعد أربعين يومًا أو أكثر ينتقل العريس مع عروسه إلى منزلهما الزوجى الجديد[1].

*** من نظم الزواج لدي بدو الصحراء الغربية[2]:**

ـ الرجل له الحق فى زواجه ببنت العم، وذلك بهدف إكثار النسل فى العائلة الواحدة، ولاسيما زيادة رجالها.

ـ وإذا كان ابن العم يريد الزواج ببنت عمه وهى لاتريده وغير موافقة على الزواج به ـ فليس له أى حق فى إمساكها، وأيضا ليس له الحق فى منع أى أحد من قبيلة أخرى فى التزوج بها إذا كانت هى راضية عن ذلك.

ـ تتم قراءة الفاتحة بعد حصول مقدمات الرضا والقبول بين الشاب والفتاة وأهلها.

ـ الزوجة التى تكره زوجها كرهًا ثابتًا نهائيا لها أن تتركه، على شرط أن تدفع للزوج قيمة المهر الذى دفعه لها، وكل ما أنفقة لأجلها عند الزواج.

ـ الزوج الذى يكره زوجته كرهًا ثابتًا نهائيًا له أن يتركها، على ألاَّ يأخذ من المهر الذى دفعه لها شيئًا، وفى نفس الوقت إذا كان له منها أولاد يُلْزَمُ بنفقتهم مع إبقائهم معها إلى سن معينة فى أعرافهم.

ـ إذا تخاصم رجل مع زوجته وكثر بينهما الخصام، ولم يعرف أيهما المتعدى على الآخر، يقرر الحكم بينهما ووضعهما فى «دار العدل»، أى إنزالهما فى بيت أو نجع رجل طيب؛ ليكون مطلعًا على كل مايحصل بينهما، ويكون شاهدًا عليهما، وشهادته هى التى يقضى بها.

---

(١) زهرة الخليج فى ١٩٩٣/٦/٢٦. (بتصرف)

(٢) يلاحظ أن هذه النظم مستقاة من التشريع الإسلامى؛ لأن البدو بطبيعتهم متمسكون فى سلوكياتهم وتعاملاتهم بما جاء به التشريع الإسلامى.

لاتوجد نفقة عدة للمطلقة أبدًا إلا إذا كانت حاملاً، فيلزم الزوج بنفقتها إلى أن يتم الوضع، وتستمر النفقة للمولود لحين تسلمه منها.

هذا، ويتسلم الأب أولاده من مطلقته بعد الفطام مباشرة، إلا إذا ارتضى بقاءهم مع والدتهم، مع استمراره فى دفع نفقتهم تامة.

إذا تبين أن الزوج غير مقتدر على الإنفاق، وليس عنده أى شىء يمتلكه لتسديد النفقة الملزمة عليه ـ يتكفل والد الزوج وإخوته وأعمامه بدفعها عنه لحين التيسُّر.

عدة الزوجة المطلقة هى تسعون يومًا قمريًّا، أو ثلاث حيضات، تُقِرُّ بها المرأة أمام الحاكم الذى يلزم أن يأخذ إقرارها أمام شاهدين.

مدة الزوجة الأرملة المتوفى عنها زوجها هى أربعة أشهر ونصف.

*** عادة الاحتفال ب «السبوع»:**

من العادات المتوارثة عن قدماء المصريين عادة الاحتفال بسبوع المولود، التى ترجع إلى أنهم اعتبروا الرقم «٧» رقمًا مقدسًا يرمز إلى الخلق.

وكانوا يرددون قول «برجالاتك حلقة دهب فى وداناتك»، ويعلقون فى أُذن المولود حلقة إيزيس؛ لاعتقادهم أنه يسمع عن طريقها صوت الرب وتعاليمه.

وكان أولها طاعة الوالدين؛ وذلك لما اعتقدوه أيضًا بأن حاسة السمع عند المولود تتفتح فى اليوم السابع، وأول ما عليه أن يسمعه هو صوت الاله وهو يوصيه بطاعة الوالدين[1].

ومن أشهر المعتقدات التى تدور حول يوم السبوع أنه اليوم الذى تغادر فيه الملائكة السبعة الطفل بعد أن كانت تقوم بحراسته طوال هذه الفترة.

(١) مجلة العربى فى عددها الصادر فى مايو ١٩٩٣

ومن الطقوس الخاصة بهذا الاحتفال إيقاد الشموع، حيث جرت العادة على أن توضع سبع شمعات على جوانب «القلة» أو «الإبريق» أو على طرف إناء الماء. . . وتشعل الشموع فى ليلة اليوم السابع، ويُطلق اسم على كل منها، والشمعة التى تظل موقدة فترة هى التى يسمون المولود باسمها.

وفى اليوم السابع يشرب من القلة جميع أفراد الأسرة، ثم توضع فوق «القلة» بيضة مسلوقة يأكلها شخص مسن حتى يعيش المولود عمرًا مديدًا. . .

ولكى يعتاد الطفل على الضوضاء فلا تفزعه فيما بعد الموسيقى والأصوات العالية تمسك امرأة بهون وتضربه بالمدق عدة مرات.

ثم تحمل الأم طفلها وتطوف به داخل حجرات المنزل فى صحبة النساء والأطفال الذين يحملون الشموع الملونة وهم يغنون «حر جالاتك برجالاتك حلقة دهب فى وداناتك».

وأحيانًا يوضع مع الطفل فى الغربال سبعة أصناف من الحبوب: القمح، والشعير، والفول، والأرز، والذرة، والحلبة، والعدس.

وأحيانًا أخرى يتم نثرها فى أرجاء المنزل مع الملح والكمون، درءًا للحسد، وتفاؤلاً بجلب البركة والخير.

* * *

*** وصفة طبية من مجاهل أستراليا:**

من الوصفات الشائعة فى مجاهل أستراليا. «السحالى» الصغيرة التى تأوى إلى الأحجار القريبة من ينابيع يتردد عليها النساء للاستحمام.

ويُقال إن هذه «السحالى» الصغيرة تجمع الشعر المتساقط من النساء وتضعه فى جحورها، فتؤخذ السحالى وتقتل ثم تجفف فى حرارة الشمس، ويصلى

عليها رجل طاعن فى السن. . .بعدها توضع فى علبة صغيرة تكفل للشاب إذا علقها فى صدره أن تتهافت عليه بنات الحى.

أمَّا إذا وضعت قطعة صغيرة من «الـحلية» على شعر الفتاة المعشوقة أو يدها فإنها تتدله فى حبه وغرامه!

*** دلالة الصوت:**

تتمسك طائفة «الإيبان» بماليزيا بموروثات الأجداد، فصوت طائر مغرد يجب أن يُسْمَع قبل غرس شتلات الأرز فى الأرض. . . فإذا عز هذا الصوت كان ذلك يعنى ضرورة تغيير مكان القرية.

وبالنسبة للأحلام غير الطيبة ـ كأن يتضمن الحلم مشهدَ مريض أو ميت، أو يسمع خلاله صرخة طائر الموت «سابات»، فإنه ذلك يقتضى تغيير مكان إقامة صاحب الحلم والمشاهد التى تحيط به.

وعندما تكون القرية تحت الإنشاء يحرم نسج الملابس الوطنية، كما يحرم الدخول فى نزاع، أو خصام، أو المشاركة فى أى معركة.

*** دم الثعابين فاتح للشهية:**

يُقبل أهل «جاكارتا» بإندونيسيا - تبعًا لتقاليدهم - على ارتشاف بعض قطرات من دم الثعابين المعالج، وذلك لاعتقادهم أنه يفتح الشهية للطعام، ويبعث الحيوية، ويسهم فى إطالة العمر.

هذا، ويستخرج بائع الأفاعى مرارة الأفعى والحياة لاتزال تنبض فيها، ثم يمزج ما فيها من سائل بالدم المجمع فى الكأس، ويضيف إليه قدراً من محلول سكرى لتحلية هذا الشراب المر.

*** الحوت ملك لابد من تكريمه:**

فى بعض دول غرب إفريقيا يعدون الحوت ملكا شبه مقدس للبحر، ولابد من دفن جثمانه بتكريم عظيم؛ لكى تساعد روح الحوت أساطيل صيد الأسماك المحلية.

وعندما تلقى الأمواج بأحد الحيتان ليموت على شاطئ إفريقيا الغربى يتوجه رئيس الوزراء وأعضاء الوزارة لحضور الجنازة التى تقام له!!

* * *

obeikandl.com

• تأثير السحر فى بعض الدول الإفريقية :

فى بعض دول إفريقيا الشرقية تقع غارات قتل فى فترات منتظمة يقوم بها «الرجال الأسود»، وهم أشخاص مضللون يحتفظ بهم السحرة أسرى بين أيديهم، ويدربونهم على القتل بطريقة السباع.. ثم يطلقونهم مزودين بمخالب حديدية حادة لتمزيق أحشاء الضحايا المعينين فى أماكن بعيدة، أو وسط الغابات.

ويحصل الساحر على عناصر سحره من كل أنواع المصادر... بعضها حزم من أغصان الأشجار، أو أكياس من الحصى تبدو للعين غير المدربة بريئة تمامًا، أو من فئران مجففة، أو أحشاء حيوان.

ولما كانت الحياة البشرية هى أثمن سلعة، فلاغرو أن كان أقوى أنواع السحر يحتاج إلى دماء ولحوم بشرية!

ولذا فهناك قرى إفريقية يقتلون الأطفال الصغار، وينزعون أحشاءهم بطريقة منتظمة، ويلقون بها فى البحر عند بدء موسم صيد الأسماك.

ولعل أكثر الأسباب الشائعة للقتل فى الطقوس الدينية هو الحصول على عناصر من القرون -وهى قرون حيوانات تؤخذ عادة من بعض أنواع التياتل، ثم تحشى ببعض المواد، كدهن الأسد، ودم التمساح، وسم الأفعى، ومخلب الوطواط، ومخ بشرى... وتمزج كلها بوسائل مختلفة؛ ليكون لها تأثير سحرى معين.

والإفريقى الذى تتهدده قوى الشر من كل جانب يعيش فى رعب مستمر، لولا القوى المضادة التى يتولى أمرها الطبيب الساحر أو مايسمى «نجانجا».

ويحاول آخرون أن يحبطوا عمل الطبيب الساحر بعمل العرافّ، ولكن الأمر يكون دائماً بطريقة عكسية؛ فسحر الطبيب[1] واق ومفيد، فى حين أن سحر العَرَّاف أسود كما يعتقدون؛ ولهذا كان الطبيب الساحر «نجانجا» رجلاً مهيباً فى البلدة، تكاد هيبته تعادل هيبة زعيم القبيلة.

وفى أغلب الأحيان يكون وسيطاً معناطيسياً، وهو فى كل الأحوال تقريباً منجم أيضًا، وخبير فى صناعة التمائم والتعاويذ، والأحجبة التى تجلب الصحة والحظ والوقاية، وفى استخدام القرون الطبية، والرقصات، والأناشيد، والأقنعة، والتعازيم، واستخدام تركيبة متقنة من الأعشاب والتوت البرى، وغيرها من المواد الطبيعية الأخرى.

ومما هو جدير بالذكر هنا ماحدث منذ أكثر من خمسين عامًا، عندما اقترح البريطانيون تجفيف مستنقع «كورل» القذر فى «أكرا» وتحويله إلى ميناء كبير، ثار الأهالى هناك الذين يعيشون حول حافة المستنقع، مما أدى إلى تنفيذ مشروع الميناء فى مكان بعيد على ساحل «تاكواردى». وقد ثار الأهالى لأنهم خشوا أن تلعنهم روح المستنقع لاعتدائهم على ملكها.

من هنا نرى أن السحر يقوم بدور مهم فى تشكيل سلوك الإفريقيين وموقفهم حيال سائر العالم[2].

---

(١) لوحظ أن أدوات الطبيب الساحر تحوى بعض أشياء ذات قيمة طبية فعلاً فى حين أن عدة الساحر العراف تحوى بعض سموم حقيقية، ولكن هذه الآثار تعود أساساً إلى قيمة الإيحاء البشرى.

(٢) مجلة «لايف» عن بحث قام به العالم روبرت كوجلان عن السحر فى إفريقيا.

• نظم وعادات غريبة لدى بعض الشعوب:

* فى جزيرة «سومطرة» بإندونيسيا مازالت بعض العادات القديمة سائدة، حيث مازالت المرأة فيها تتمتع بنفوذ قوى، وسطوة كبيرة، ومن ثم فهى تملك السلطة كلها.

ومن الغريب أن الولد لايرث، وإنما البنت فقط... وأن العم الحقيقى بسلطاته الواسعة هو شقيق الأم وليس شقيق الأب.

والأغرب من ذلك أنه مازال هذا النظام فى الإرث قائماً حتى الآن، وحجتهم فى ذلك أن البنت أكثر احتياجًا للإرث من الولد(١).

* فى تركيا أكدت إحصائية نشرت مؤخرًا هناك أن الفتيات التركيات يفضلن الزواج من الجزارين بدلاً من الموظفين؛ لأنهم يستطيعون توفير اللحوم لزوجاتهم كل يوم(٢).

* * *

عند بعض شعوب شرق إفريقيا كثيًرا ما تلد المرأة أثناء سيرها فى الطريق، وما عليها إلاَّ أن تلف المولود فى قطعة من الجلد، ثم تواصل سيرها، وهى تحمل الأحمال الثقيلة!

---

(١) هذا ماصرحت به السيدة «سؤيدة جوميريل» قرينة السفير الإندونيسى السابق بالقاهرة لصحيفة الأهرام.

(٢) أظهرت النتائج أن ١٤٣ فتاة من ٢٠٠ فتاة شملها الاستطلاع من مختلف الطبقات قد فضلت الزواج من الجزارين بدلا من الموظفين!

obeikandl.com

وجدير بالإشارة أنه من عادات تلك الشعوب التعجيل بزواج الفتاة بمجرد ظهور علامات البلوغ. . .وليس لها الحق فى اختيار زوجها الذى إذا مات تزوجت من شقيقه.

وهى تفقد نضارتها -فى الغالب- فى سن الخامسة والعشرين، وتبدو فى سن الثلاثين كأنها عجوز شمطاء!

* * *

من العادات الغريبة فى جزر القمر[1] أن الفتاة هى التى تعد بيت الزوجية الذى هو ملكها، ويعوضها الشاب بأجمل الحلى والهدايا، ويقيم احتفالات كبيرة.

وليس من المستغرب أن يتزوج الرجل من أكثر من فتاة، بشرط ألاَّيتخطى عددهن أربع زوجات وفقًا للشريعة الإسلامية[2].

وهو يتنقل بين بيوت زوجاته بكل حرية، وليس لأىٍّ من الزوجات أن تحاسبه مهما طال غيابه.

* * *

فى «الفلبين» يعتبر «الماكياج» وأدوات التجميل من أهم متطلبات الزواج، سواء بالنسبة للمرأة أو الرجل. . . فيبدأ التجميل بطلاء وجه العروسين ببودرة الأرز الناعمة، ثم ترسم حواجب سميكة على وجه العروس بشكل مربع بحيث يتصل أحد الحاجبين بالآخر.

وفى «اليابان» من عادة النساء طلاء أسنانهن بطبقة من الذهب، وهو نوع من التجميل.

(١) تقع جزر القمر بين مدغشقر والساحل الشرقى لإفريقيا، وتتكون من أربع جزر، أكبرها جزيرة القمر الكبرى، وتضم العاصمة «موروني»، وتتميز بمناخها الحار الاستوائى.

(٢) حيث تقترب نسبة المسلمين بها من ١٠٠٪

أما النساء فى «جرينلاند» فيصبغن وجوههن بزرقة وصفرة.

وفى «الصين» لاتستريح المرأة حتى ترى قدمها فى غاية الصغر والدّقة فى الحجم، ومن أجل هذا تقضى فترة الطفولة والحداثة فى أنكى تباريح العذاب والألم، حيث تضع قدمها فى حذاء من الحديد.

وفى «بيرو» تعلق النساء فى أرنبة الأنف حلقة صغيرة تختلف باختلاف لقب الزوج ومرتبته.

وفى «اليونان» يتم الاحتفال بعد أسبوع من ولادة الطفل عند التعميد... وعادة يقام الاحتفال فى بيت «أشبين» الطفل، وهو أبوه الروحى الذى يعمده ويختار له الاسم.

ويسارع الأهل والأصدقاء فى تقديم الهدايا التى غالبًا ما تكون من الذهب.

أما بالنسبة لاحتفالات الزواج فهى عبارة عن رقص شعبى يشارك فيه الكل ـ كبارًا وصغارًا، رجالاً ونساءً ـ ويتناولون فيها الشواء والنبيذ.

* * *

فى قرية «نان شان» بإحدى مقاطعات الصين، للزواج مراسيم، منها أن يرحب أهل العروسين بالضيوف القادمين للتهنئة، فيقدمون لهم فى البداية فنجانًا من الشاى المحلَّى بالسكر؛ ليرمز للحياة الحلوة، والوفيرة المال، التى يتمناها الجميع للعروسين.

وتقام وليمة ضخمة يُقَدَّمُ فيها كل ما لَذَّ وطاب.. وفى نهاية حفل الزواج يقدم لكل ضيف فطيرة أرز ليأخذها معه إلى المنزل.

وجرياً على العادات القديمة، يمتطى العروسان أحيانًا فرسًا واحدًا مزودًا بسرجين، يذهبان به إلى منزلهما الجديد[1]!

* * *

(١) مجلة الفيصل، عدد أكتوبر ١٩٩١ (بتصرف).

فى «بدو الرشايدة» الذين يعيشون بمقربة من مدينة «كسلا» بالسودان ـ عندما يخطب الفتاة أحد الشباب، يشترط الأب ـ عادة ـ مهرًا لابنته قطعانًا من الماعز والجمال، وكذلك أقمشة وحليًا.

وعند إتمام مراسيم الخطبة وعقد الزواج، تتهيأ العروس ليوم عرسها، فتتزين بكل مالديها من مجوهرات وحلى ومساحيق التجميل التقليدية، وترتدى الألبسة المزركشة بالألوان الزاهية.

أما المدعوون فيتجمعون فى الساحة خارج المنزل ليرقصوا ويغنوا ويصفقوا، والناس كلهم فى حالة فرح ونشوة بهذا الحدث السعيد.

وبعد ذلك يتحلق مجموعة من الشباب حول العريس يحملون السيوف، وهنا يجب على العريس أن يظهر لعروسه شجاعته ورجولته، فينازل كل هؤلاء الشباب، كلاً على حدة[1].

* * *

من العادات الشائعة لدى قبائل «التانجاس» بسيبيريا أن الشخص الذى تظهر عليه العصبية والهستيرية عادة ما يترك مجتمع قبيلته مختارًا؛ ليعيش وحيدًا فى الغابات... وهو إذا لم يأخذ هذه الخطوة بإراداته يُدْفَع إليها دفعاً.

وتتفاوت مدة هذه الخلوة وسط الغابات من شخص إلى آخر... لكنهم يعودون فى نهاية الأمر إلى قبيلتهم عندما يشعرون أنهم تمكنوا أثناء خلوتهم من السيطرة على هذه الظاهرة، على حد تعبيرهم. ويعرف الشخص فى هذه القبائل بـ « الشامان».

بعد هذا يمر «الشامان الجديد» بسلسلة من الاختبارات القاسية، تبدأ باختبار شفهى تُمتحن فيه معرفته بالمخلوقات: أنواعها، وأحوالها، فإذا اجتاز

(١) مجلة الفيصل عدد ديسمبر ١٩٩١ (بتصرف)

هذا الاختبار الشفهى دخل فى اختبارات أخرى لامتحان قدرته على تحمل الحرارة والبرودة[1].

والاختبار الأول فى هذا المجال يتطلب منه أن يسير حافى القدمين على فحم متوهج بدون أن يصاب بحروق.

وبعد أن ينتهى اختبار الحرارة الشديدة يقوم الكهنة باصطحاب الشخص إلى نهر متجمد المياه، فيصنعون عدة ثقوب فى طبقة الثلج، ويكون على الشخص أن يهبط من أحد هذه الثقوب عاريًا؛ ليصعد من ثقب آخر بعد أن يعوم فى ماء النهر تحت الثلج، وأن تتكرر هذه العملية تسع مرات متتابعة.

وبعد أن ينتهى الشخص من امتحانى الحرارة والبرودة بشكل ناجح، يعلن كهنة القبيلة أنه أصبح فى عداد «الشامان»[2].

فى جمهورية «شيشانيا انغوشيا»[3] تحرص المرأة على ارتداء غطاء رأس يغطى رأسها، وبخاصة النساء كبيرات السن، أما الفتيات وصغار السن فإن معظمهن يضعن منديلاً أو شريطاً على جزء من شعرهن.

---

(١) يلاحظ أن اختبار النار له الكثير من النظائر فى أغلب الممارسات البدائية والشعبية، فالهندوس يفرضون على الكاهن أن يقبض على قضيب حديدى مسخن لدرجة الاحمرار، ثم يصعد به سبع درجات، بعدها يقومون بفحص كفى الكاهن للتأكد من عدم وجود أى أثر للحروق... وفى بعض الطقوس الإفريقية يكون على الشخص أن يثبت قدرته الخاصة من خلال التقاط بعض الأحجار الغارقة فى قاع وعاء به زيت يغلى بيده العارية بدون أن يظهر أثر هذا عليه... كما نرى لاختبار البرودة أيضًا شبهًا بين قبائل «التبت» حيث يجلس الشخص للاختبار عاريًا فى حفرة صنعت فى ثلج البحيرة المتجمدة، ثم توضع قطعة من النسيج المبتل فوق جسده العارى.

(٢) مجلة الشرق الأوسط الصادرة فى ١٩٩٢/٩/٩ (بتصرف).

(٣) إحدى الجمهوريات المنبثقة فيما كان يسمى بـ «الاتحاد السوفيتى» مساحتها ١٩٫٣٠٠ كم٢، ويسكنها حوالى مليون ونصف مليون نسمة، وهى تشتهر بالزراعة، وبخاصة القمح، والذرة، والكروم، وأنواع من الخضراوات والفواكه الأخرى.

وتعرف أن هذه الفتاة شيشانية فى معظم الأحيان من المنديل أو الشريط المتداخل بخصلات شعرها.

وبالنسبة لموضوع المواريث فإن الإرث يوزع على الأبناء والبنات بالتساوى، ومن العادات المتعارف عليها أن البيت يئول بعد وفاة صاحبه إلى أصغر الأبناء، ويزوره الأبناء الآخرون أو البنات بصفته بيت العائلة، وإذا لم يكن هناك أولاد أو بنات من صلب الرجل، فإن البيت يمكن توريثه بعد ستة أشهر من وفاة صاحبه إلى أقرب الأقارب، وإذا كان غير موجود فإنه يئول إلى الحكومة.

وبالنسبة للزواج فإن القانون السوفيتى السابق الذى كان يسرى على «شيشانيا انغوشيا» باعتبارها إحدى جمهوريات ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتى ـ لايبيح الزواج بأكثر من زوجة واحدة.

وبالنسبة للعلاقة بين الأب والابن فإن الرجل لايتحن اصطحابه لأبنائه فى رواحه وغدواته، حتى ولو كان ذلك إلى المسجد... وأن الابن إذا تعثر بحضور الجد أو الأب على سبيل المثال، فإن الأب لايمكن أن يقيله من عثرته، بل يترك الأمر للمرأة... فعالم الرجال عالم منفصل عن عالم المرأة والأولاد، فهى بعض العادات التى لايزال بعضها مطبقًا حتى الآن.

* * *

• الممارسة الجنسية الجماعية فى الولايات المتحدة الأمريكية :

فى الولايات المتحدة الأمريكية تطور الزنى ـ فى العقود الأخيرة ـ بحيث لم يعد قاصراً على الطريقة التقليدية التى يتخذ فيها أحد الزوجين أو كلاهما عشيقًا أو عشيقة بدون علم الزوج الآخر، وإنما أصبح زنى الزوجين يتم بالاتفاق بنيهما، بل وبحضورهما أثناء الممارسة الجنسية الجماعية.

ويزعم أنصار هذا النوع من الممارسة الجنسية الجماعية أنه وسيلة ضرورية لتحقيق الانسجام الجنسى بين الزوجين. وفى الوقت ذاته ينتقدون الأخلاق الجنسية التى تدعو إلى الطهارة والعفة، ويصفونها بأنها التى أشاعت البغض بين البشر والنفاق.

هذا، ولاتقتصر الممارسة الجنسية الجماعية بين الذكور والإناث، بل تُمارَس أيضًا بين أفراد الجنس الواحد، أى بين إناث وإناث، وذكور وذكور، فضلاً عن الممارسات الشاذة بين الذكور والإناث.

ومن الغريب أن يجمع المشاركون فى تلك الممارسات الجنسية الجماعية على أن موقفهم إزاء العلاقة الجنسية أصبح أصح وأكثر حيوية من العلاقة الجنسية المعتادة لَدَى أغلب الأزواج والزوجات، ويؤكدون أن الممارسة الجنسية الجماعية قد حالت دون حدوث الخلافات الزوجية أو الطلاق فى حالات كثيرة، وبالتالى يزعمون أنهم يعيشون حياة زوجية أكثر سعادة؛ لأنهم

لايعرفون أى نوع من أنواع الملل أو الكبت والحرمان، أو موجات الفتور التى يعانيها الأزواج الآخرون.

وتجدر الإشارة إلى أن الممارسة الجنسية الجماعية لاتقتصر على الولايات المتحدة الأمريكية، وإنما توجد فى كثير من المجتمعات الغربية، مثل كندا، وألمانيا، وبريطانيا، وفرنسا، والسويد، وغيرها.

وتشير التقارير إلى أن أعداد الذين يمارسون الجنس الجماعى تزداد دومًا بما يشبه الانتشار الوبائى، مما ينذر بتقويض أسس الحضارة الغربية[1].

* * *

فى عام ١٩٤٤ لما زاد عدد النساء القادرات على الإنجاب فيما كان يسمى بـ «الاتحاد السوفيتى» على عدد الرجال بما مقداره خمسة عشر مليون امرأة؛ مالبث أن وصل إلى عشرين مليون امرأة فى نهاية عام ١٩٤٥ـ لم يشأ «ستالين» أن يصدر قانونًا يبيح تعدد الزوجات؛ لما قد يلدنه من أبناء، . . .ثم أصدر القرار الشهير المعروف بقرار ١٩٤٤، والذى يشجع على إنجاب الأطفال غير الشرعيين، وذلك لكى يعوض الخسائر الفادحة فى السكان التى تكبدتها البلاد أثناء الحرب، وبالتالى يزيد من معدل المواليد.

ثم أصدر القرار المسمى بـ «الأم المهجورة». الذى اهتم فيه بالعلاقة بين المرأة وولدها، ولم يهتم بالعلاقة بينها وبين الرجل الذى أنجبت منه، فجعل لها نفس الحقوق التى تتمتع بها الأم المتزوجة. . . وقضى بأن تمنح وسامًا أطلق عليه رسام «الأم البطلة» إذا أنجبت عددًا كافيًا من الأطفال غير الشرعيين، أى أنه كافأ النساء اللاتى مارسن الزنى أكثر من سواهن، وانجبن عن طريقه أولادًا أكثر، بأن يُمنحن إعانة مالية من الدولة، مما نتج عنه انطلاق الرجال للزنى بالنساء بدون أن يتحملوا أى مسئولية نحوهن أو نحو أبنائهم.

(١) العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية: د. أحمد على المجدوب (بتصرف)

ولم تكد تنقضى خمس سنوات على صدور هذا القرار الغريب الذى يبيح الزنى حتى بلغ عدد الأطفال غير الشرعيين ١٨ مليون طفل عام ١٩٤٩... ولما وجدت الحكومة أن عدد الأبناء غير الشرعيين فى ازدياد ـ فضلاً عن الأبناء الشرعيين الذين اختفى آباؤهم، ورأت أنها قد عوضت النقص فى الرجال الذين فقدتهم الدولة أثناء الحروب ـ اضطرت إلى إباحة الإجهاض، فضلاً عن توزيعها وسائل منع الحمل للحد من عدد المواليد[1].

* * *

(١) الثورة الجنسية: جورج بالوتشى هورفات، ترجمة الدكتورة سامية أسعد.

obeikandl.com

• مصالحة الزوجة بالموسيقى على الطريقة المكسيكية[1]:

عندما يحدث خلاف بين الزوجين فى المكسيك، وتضطر الزوجة إلى ترك المنزل، لايلجأ أحد منهما إلى أسرته للتدخل كأطراف لحل النزاع والصلح بين الزوجين، وإنما يلجأ الزوج إلى حل المشكلة الزوجية بطريقة رومانسية، وذلك بأن يستخدم ذكاءه ويلعب بنقطة الضعف التى يعرفها فى زوجته، فيجذبها إليه عن طريقها ببساطة.

ونقطة الضعف عند المرأة المكسيكية هى حبها الشديد للموسيقى، فعندما تغضب الزوجة يبدأ الزوج باستخدام العزف الموسيقى والغناء الرومانسى كوسيلة للصلح بدلاً من العزف بالكلام وتدخل الأهالى.

ومن المعروف أن المرأة المكسيكية عندما تغضب تترك منزلها فى الحال حتى ولو كانت هى المخطئة. ففى هذه الحالة يلجأ الزوج إلى استئجار فرقة موسيقية معروفة هناك باسم «فرقة المريتشى»، وهى فرقة مكونة من أربعة أو ثلاثة من الشباب يعزفون الجيتار، ويتجولون فى الشوارع، ويدخلون إلى أى مكان ليعزفوا فيه.

وهذه الفرقة يلجأ إليها الزوج ليصحبها إلى منزل أسرة زوجته، حيث توجد زوجته الغاضبة. .وتقف الفرقة تحت نافذة حجرتها وتعزف الموسيقى، ويقف زوجها مع الفرقة ليغنى معها الأغانى العاطفية التى تحبها زوجته، والتى تذكرها بأحلى أيامها، وليالى زمان أيام الخطوبة. . . فإذا فتحت

(١) من المعروف أن شعوب أمريكا اللاتينية تعشق الموسيقى والرقص بصورة تثير الانتباه والاستغراب!

الزوجة النافذة وظهرت فمعنى ذلك أنها قد استجابت له، فيشير إليها الزوج وهو يضغط على قلبه بيديه مثل «روميو» كعلامة لحبه لها، يفعل هذا وهو مستمر فى الغناء مع الفرقة، فتنزل الزوجة وهى حالمة مسحورة بأيام وليالى زمان، وتودع أهلها.

وعندما تنزل إليه ويراها الزوج يضع يده فى يدها، ويسيران فى الطريق إلى منزلهما، والفرقة الموسيقية خلفهما تزفهما.

وهكذا ينتهى الخلاف بينهما بهذه الطريقة الرومانسية[1].

ولكن أحيانًا قد لاتحدث الاستجابة من الزوجة بهذه السرعة، ومن أول يوم، فقد تتركه يناديها بالغناء والموسيقى حتى يتعب هو وفرقته بدون نتيجة، فيعود إليها فى اليوم التالى، ويكرر المحاولة مجتهدًا فى استمالتها بهذه الطريقة حتى يتمكن من تحقيق هدفه!

* * *

*** الرجال يمارسون الأعمال المنزلية مرة في السنة والمخالف يُعاقَب!:**

فى مدينة «ثمارامالا»[2] الإسبانية. يُقام عادة فى فصل الشتاء من كل عام احتفال تقليدى بموجبه تتسلم النساء زمام السلطة فى المدينة لمدة يوم واحد فقط. ويعود تاريخ هذا التقليد الغريب إلى قرون غابرة حتى قبل دخول العرب إلى الأندلس، حيث هناك أسطورة تقول: إن حاكم «ثمارامالا» قد خرج يومًا مع رجاله لمحاربة حاكم عدو. وبينما كان الرجال فى الخارج وقعت المدينة تحت حصار شديد من جانب قوات العدو، وأيقن رجال «ثمارا

(١) تعليق: هذه الطريقة تعد من الطرق المثالية للصلح في أى خلاف يقع بين الزوجين وذلك بدلا من المناقشات التى يؤدى احتدامها إلي الأسوأ ولكن نتساءل فى مزاح ومداعبة: هل تقبل الزوجة العربية أن تطبق هذه الطريقة المكسيكية فى حل خلافاتها مع زوجها.

(٢) تقع فى منطقة «سيجوبيا» القريبة من العاصمة «مدريد».

مالا» لدى بلوغهم النبأ أن مدينتهم ستسقط فى يد الأعداء لامحالة، لكن الرسل سرعان ماحملوا إلى الحاكم أخبارًا عن تصدى نساء المدينة للحصار، ودفاعهن المستميت عنها، فارتفعت معنويات القوم لدى سماع هذه الأخبار، وأقسم الحاكم ومعه رجاله بتسليم الحكم فى المدينة للنساء إذا هن نجحن فى دحر العدو.

وبالفعل أبلت النساء بلاءً حسنًا، ونجحن فى فك الحصار المضروب حول المدينة ليعود الرجال إليها سالمين... واضطر الحاكم للوفاء بالعهد الذى قطعه على نفسه، حيث لم يجد الرجال أى مهرب سوى الإذعان لرغبة الحاكم بقبول حكم النساء. ومع مرور الزمن تحول الأمر إلى مسألة رمزية يعتز بها أهالى مدينة «ثمارامالا» ويحتفلون بها سنويًا.

وبناء على تلك التقاليد يجرى اختيار مجموعة من سيدات المدينة لتسليمهن مقاليد السلطة البلدية فيها لمدة يوم واحد.

وفى هذا اليوم ترتدى السيدات جميعًا اللباس التقليدى المطرز ويخرجن إلى الشوارع لتفقد أحوال المدينة. فى حين يفرض على الرجال ملازمة بيوتهم والقيام بالأعمال المنزلية التى تقوم بها المرأة عادة... وإذا حدث أن ضُبِطَ أحدٌ من الرجال خارج منزله مخالفًا لهذا التقليد تلقى النساء القبض عليه ويُحاكَم، معرضًا نفسه للعقوبة التى تتراوح بين الغرامة المالية والضرب بالعصى. وعلى الرغم من أن الرجل الإسبانى هذه الأيام لايرى أى غضاضة فى القيام بالأعمال المنزلية فإن هذا لم يكن بالأمر المقبول فى إسبانيا إلى سنين قليلة قد خلت... وبالإمكان تصور نوعية شعور الرجال فى مدينة «ثمارامالا» خلال القرون الماضية لدى الاحتفال بهذه المناسبة ووضع رقابهم تحت رحمة النساء.

ويبلغ الاحتفال قمته فى ساعات العصر من ذلك اليوم، حيث يقام مهرجان كبير وسط المدينة يجرى فيه إحراق دمية على شكل رجل باللباس التقليدى الإسبانى فوق منصة عالية وسط صيحات الفرح والابتهاج المنطلقة من حناجر المحتفلات اللواتى يعرفن حق المعرفة ماذا سيجدن فى انتظارهن لدى العودة إلى البيت.

وفى مساء ذلك اليوم تُقام وليمة كبيرة يشارك فيها جميع سكان المدينة ـ نساءً ورجالاً، شيوخاً وأطفالاً- تقدم فيها المأكولات الإسبانية التقليدية تلك التى تشتهر بها مدينة «ثمارامالا» بشكل خاص.

* * *

فى جزيرة «بالى» بإندونيسيا للدين[1] أهمية خاصة جداً، حيث يراعى الناس تعاليمه، ويؤدون طقوسه فى كل لحظة من لحظات يومهم، وفى كل تصرف من تصرفاتهم..

فدخول البيوت مثلاً يتم بتقاليد دينية خاصة، تراعى وجود الأوراح -طيبة وشريرة- التى يعتقد الأهالى بوجودها حولهم فى كل وقت وكل مكان؛ ولذا فمن المألوف أن يحيط بكل مجموعة من البيوت سور مرتفع، يعلوه برج به جرس من الخشب، يقرع فى أوقات متقاربة لإخافة الأرواح الشريرة وطردها!

وحتى تناول الطعام لايبدأ ولايجوز إلاَّ إذا ألقَى الشخص قليلاً من الملح على الأرض، وأخذ كمية من الطعام ووضعها جانباً، نصيبًا وقربانًا للآلهة..

ومن الجدير بالذكر أن الحرص على تقديم القرابين فى كل مناسبة يُعَدُّ واحداً من الطقوس العديدة التى يفرضها الدين.

(١) يعرف هذا الدين باسم «هندوبالينيز» ويعتبر دينًا فريداً من نوعه، حيث اختلطت فيه تعاليم ثلاثة أديان هى «البالينية الوثنية القديمة، وهى الدين الأصلى للجزيرة..والهندوسية، والبوذية.

وتتكون القرابين من الكعك، والحلوى، والأرز، والدجاج المشوى، والزهور، والفاكهة - خاصة الأناناس والموز.

وموائد القرابين لها درجات وألقاب - «فخمة جدًا»، و«متوسطة»، و«بسيطة» - وذلك حسب المناسبة وأهميتها.

ومن أغرب أنواع القرابين مايسمى بـ «الضحية الحية»، حيث يقوم الأهالى - فى يوم خاص - بإغراق عدد كبير من الحيوانات، من الجاموس والأبقار والخنازير فى مياه البحيرة إرضاءً للآلهة؛ حتى لاتبخل عليهم بالماء!

ومن الطقوس الدينية أيضًا التى يحرص عليها الأهالى - فرش شريط ضخم من القماش الأبيض يغطى كله بالأرز واللحم المطبوخ بالدم والتوابل!! ثم ينثر فوقه الزهور والنقود والهدايا المختلفة إغراءً للآلهة!!

وفى جزيرة «بالى» أيضًا عيد يحتفل به الأهالى يسمى عيد «ديواسانجا». وتدور الطقوس فيه حول تمثال بدائى على هيئة رجل له أعضاء تناسلية ضخمة[1]... والاحتفال هنا من أجل زيادة محصول الأرز الذى تُقَدَّمُ بعض أعواده الخضراء كعروس يزوجونها لتمثال الإله!

*** تشي قونغ (أوفن استنشاق الهواء)[2]:**

فى صباح كل يوم يشاهد زوار العاصمة الصينية مجموعات من الرجال والنساء، وقد ملئوا الساحات والحدائق العامة، يمارسون حركات تتراوح بين الاسترخاء والإيماء.

إنها رياضة «تشى قونغ» التى بدأت فى الصين القديمة أشبه بالرقص؛ لتصبح اليوم رياضة وعلاجاً للسرطان ولأمراض أخرى.

---

(١) يلاحظ أنه أحد احتفالات الخصوبة التى عرفتها جميع الشعوب القديمة مثل قدماء المصريين.

(٢) «تشى قونغ» هى كلمة صينية من الصعب ترجمتها إلى اللغات الأخرى بدقة، فالترجمة القريبة يمكن أن تكون «فن التنفس» أو «قدرة الهواء»

ففى بكين[1] مثلا يتجمع الناس بالآلاف ـ رجالاً ونساءً، شبابًا وشيوخًا ـ من الصباح الباكر فى الساحات والحدائق حتى على أرصفة الشوارع، ويتحركون بصورة غريبة: فبعضهم يقف بدون أى حركة، وبعضهم الآخر يجلس بعيون مغمضة، وآخرون يقلدون حركات الحيوانات أو الطيور، ومعظم هؤلاء الناس يقومون بهذه الحركات فى حلقات، ولكل حلقة معلم يقلد الجميع حركاته... والمظهر يعجب كل زائر أجنبى، ويدل على انتشار هذه الرياضة فى بكين.

والحقيقة أن حوالى خمسين مليونا من الصينيين يمارسونها، اعتقادًا بأنها رياضة تصلح للجميع، وتفيد فى المحافظة على الصحة، وتقوية قدرة الإنسان الجسمانية والذهنية، وتساعد فى القضاء على الأمراض، ولاسيما الأمراض المعقدة.

وهناك قصص كثيرة يتناقلها الصينيون عن فاعليتها الساحرة المدهشة، وبعض هذه القصص أشبه بالأساطير أحيانًا، ومعظم هذه القصص عن شفاء مرضى السرطان بممارسة «تشى قونغ» بعد أن أُعْلِنَ عجز الطب الحديث عن علاجهم.

كما أن هناك قصصًا تصف كيف تحول بعض أصحاب الكروش إلى رجال يتميزون بالرشاقة وخفة الحركة بفضل ممارسة هذه الرياضة المعجزة الساحرة.. ولم تكن ممارستها أسلوبًا ذاتيًا لعلاج الأمراض وتحسن الصحة فقط، بل هى طريقة فعالة لعلاج أمراض أخرى، فقد أنشئت فى الصين عيادات كثيرة لعلاج الأمراض بهذه الطريقة الغامضة[2]!

هذه الرياضة تنقسم إلى مذاهب كثيرة، بلغ عددها ٣٥ مذهبًا، وتتفرع إلى أكثر من ٤٠٠ طريقة، ولكل مذهب نظريته الخاصة، غير أن جميع

(١) العاصمة الصينية

(٢) مجلة العربى الصادرة فى ديسمبر ١٩٨٩ (بتصرف)

المذاهب تتفق فى الرأى على أن «تشى قونغ» تزيد مناعة الإنسان ضد المرض، وتساعده فى تقوية الجسم(١).

كما تجمع على الإيمان بأن جسم الإنسان وذهنه يمكنه تنظيمهما وتهذيبهما عن طريقة تجميع قوى الإنسان الجسمانية والذهنية وإرخائها. وفى كل هذه الحالات تلعب السيطرة على التنفس دورًا أساسيًّا، فالطريقة الأساسية لتشى قونغ -مهما كثرت مذاهبها- مشتركة، وهى جعل الشخص فى وضع استرخاء تام، وتركيز فكرى فى ممارسة «تشى قونغ» فقط، والتنفس بهدوء وانتظام(٢).

ويفضل ممارسة هذه الرياضة فى الهواء الطلق النقى، حيث الأشجار والأعشاب.. ومما يسترعى الأنظار أن هذه الرياضة القديمة لاتزال فى تطور مستمر بسبب فاعليتها الغريبة، فالشخص السمين مثلاً إذا مارس هذه الرياضة استطاع ـ أحياناً ـ تخفيض وزنه بمقدار ربع كيلو جرام يوميا مع بقائه بكامل قوته وحيويته.

أن رياضة «تشى قونغ» أصبحت جزءًا لايتجزأ من حياة الملايين من الصينيين وعاداتهم، وبخاصة هؤلاء الذين عجز الطب الحديث عن إنقاذهم من الأمراض الخبيثة.

(١) نُشرت فى الصين دراسات كثيرة عن هذه الرياضة وفاعليتها فى معالجة الأمراض، وشهد أحد التقارير الطبية أن «تشى قونغ» قد أفادت ٩٠٪ من الذين يعانون من أمراض الجهاز الهضمى، كما كشفت التحقيقات أن ٩٥٪ من مرضى قرحة المعدة يمكن أن يستفيدوا من هذه الرياضة، وتظهر فاعلية هذه الرياضة المدهشة بصورة أكبر فى علاج مرض السرطان، فقد ورد فى كتاب «القواعد العلمية لتشى قونغ» لسياهوان زانغ أن هناك إحصاءً يشير إلى شفاء ١٧٪ من مرضى السرطان بالرئة بممارسة تلك الرياضة، وأن ٢٨٪ من مرضى سرطان المعدة أو المرىء استطاعوا ممارسة الحياة بشكل طبيعى بممارسة هذه الرياضة.

(٢) والنظرية التقليدية تعتقد أن هذه الطريقة تحقق التوازن بين جسم الإنسان وذهنه، والتوازن بين الإنسان والطبيعة، مما يعبئ كل إمكانيات الإنسان الطبيعية لمقاومة الأمراض وإزالة آثارها... ولكن نظرًا لعدم وجود الشرح العلمى لهذه الرياضة التقليدية القديمة حتى الآن فمازال عدد لابأس به من العلماء والباحثين لايصدقونها، برغم المعجزات التى تحققها بلاانقطاع.

* «تسليات يابانية تقليدية»

الكابوكى(١):

يميل اليابانى إلى الفنون المسرحية القومية، ومن أبرزها «الكابوكى» الذى يلقى اهتمامًا كبيرًا على المستويين: الرسمى، والشعبى.

وتتركز الموضوعات الأساسية لمسرحيات «الكابوكى» غالبًا على الصراعات بين القيم الإنسانية والإقطاعية.

ومن السمات الفريدة للكابوكى أن كل الأدوار النسائية يقوم بها ممثلون يتحلون شخصيات نسائية، ويعرفون باسم «أونا-جاتا» أو «أوياما»... وذلك سيرًا وراء تقليد قديم يرجع إلى عام ١٦٢٩م. ومنذ ذلك الحين أصبح ذلك التقليد جزءًا لايتجزأ من الكابوكى.

وكل ممثل للكابوكى مطالب بأن يكون لديه تدريب إعدادى أساسى منذ الطفولة.

والتمثيل التشكيلى هو أحد المبادئ التى يقوم عليها فن «الكابوكى» حيث تكون كل حركة جسمانية مصحوبة بموسيقى، حتى أتفه الإيماءات كثيرًا ماتكون أقرب إلى الرقص منها إلى التمثيل.

* **الألعاب النارية اليابانية:**

تعرف تلك الألعاب باسم «هانابى»(٢) وهى جزء من تسليات اليابانيين الذين اعتادوا على مشاهدتها منذ أواخر القرن السادس عشر.

---

(١) كلمة «كابوكى» كفن مسرحى تكتب بثلاثة حروف صينية وهى: «كا» ومعناها الغناء، و«بو» وتعنى الرقص، و«كى» وتعنى التمثيل. وبرغم أن المعنى الأصلى للكلمة مختلف تمامًا، فإن الحروف تصف بصورة وافية أشكالها الفنية. وترجع بداية فن «الكابوكى» إلى الجزء الأخير من القرن السادس عشر، وإن كان قد حدث تطوير فيه خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

(٢) وتعنى حرفيًا «زهور النار» وقد تمت صياغة الكلمة فى القرن السادس عشر، والغريب أن الخليط المتفجر من المواد الكيميائية هو الذى يجعل الألعاب النارية اليابانية بهذا القدر من الجمال الرائع.

وقد اكتسبت الألعاب النارية اليابانية شهرة عالمية للمهارة الفائقة على تشكيلها فى أنماط وأشكال النباتات، أو أشجار الصفصاف ذات الزهور، أو زهور الفوانيا، فضلاً عن روعة ألوانها وصورها المتعددة، والتى ترجع للإتقان الدقيق لهذا الفن الذى ارتبط باليابانيين بوجه خاص، وشغفهم بسحر تلك الألعاب، وهى تزدهر وتومض فى سماء الليل الواسعة.

*** مصارعة السومو [1] ،ذات جذور دينية،:**

تبلغ حماسة اليابانيين للسومو حدًا يجعل من المستحيل تقريبًا الحصول على تذاكر لأىٍّ من الدورات الست للمحترفين التى تُعقد كل عام..

ويشعر كثيرون من اليابانيين الذين يعيشون فى الخارج بالحنين للوطن بصفة خاصة وأشد خلال إقامة أية دورة للسومو، ويطلبون من عائلاتهم إرسال قصاصات للصحف عن مباريات كل يوم إليهم.

وكانت السومو ـ فى الماضى ـ أحد الطقوس الدينية التى تُؤَدَّى لشكر الآلهة على المحصول الوفير. ومازال الكثير من عاداتها مستمرًا إلى اليوم.

وقبل أن ينزل المصارعون إلى حَلْبَة المصارعة يمشطون شعورهم على هيئة خصلة فى قمة الرأس فى حلقة من الطين يبلغ قطرها ٤ر٥ أمتار، وتحاط بأكياس من قش الأرز مملوءة بالتراب.

ويتماسك المصارعون فى بداية المباراة، ثم يصفق المصارعان الضخمان بأيديهما معًا بنفس الطريقة التى يفعلها المتعبدون فى أحد المعابد.

---

(١) هى الرياضة الوطنية للبلاد، وتتمتع بشعبية بالغة، ويرجع تاريخها إلى العصور القديمة. ومن الصعب على غير اليابانيين الوطنيين فهم كيفية الفوز فى أية مباراة بسهولة، حيث إن «السومو» تستعصى على الفهم.

وقد يبدو المصارعان كأنهما يـخنان نفسيهما عندما يضغطان بأيديهما على ركبهما، ويرفعان ساقًا بعد الأخرى عالية فى الهواء، ويدقان بها على الأرض.. ولكنهما فى الواقع يحاكيان الآلهة الحارسة الأربعة للبوذية[1].

وبعد إلقاء الملح فى الحلقة كعمل من أعمال التطهير، يجلس المصارعان القرفصاء فى وسط الحلقة عدة مرات، وكل منهما يحدق فى الآخر؛ لكى يزيدا التوتر قبل أن يقذفا بكل ثقلهما فى المعركة الحاسمة، والتى تحدث تحت مراقبة دقيقة من حكم يرتدى ثوبًا تقليديًا... وتنتهى المباراة خلال ثوان.

ومن أكبر نواحى الجاذبية فى «السومو» أن المصارع الأثقل وزنًا ليس هو الذى يفوز بالضرورة شأن المصارعة التقليدية.

وعالم رياضة «السومو»[2] مفتوح لأى رجل يبلغ الخامسة عشرة فأكثر من عمره، ويزن على الأقل ٧٥ كيلو جرامًا، وطوله ١٧٣ سنتيمترا على الأقل، بغض النظر عن جنـسيته.

وبعد اجتياز الامتحان ودخول حظيرة هذه الرياضة يبدأ المبتدئ من أدنى مرتبة، وهى «الجونوكوتشى».. ثم المرتبة الثانية «جونيدان» تتبعها المرتبة الثالثة «ساندافى».. ثم المرتبة الرابعة «ماكوشيتا»، وهذه المراتب تعتبر مراتب دنيا، يمكن أن يعمل أصحابها كخدم للمصارعين فى التقسيمات الأعلى، ولا يتلقون أى أجر.

ثم تأتى المرتبة التالية فى السلم، وهى «جوربو» ثم يليها مرتبة «ماكواوتشى».. ثم تأتى أعلى مرتبة، وهى «يوكوزونا»[3].

(١) يلاحظ أن تماثيل هذه الآلهة فى ساحات المعابد تقف دائمًا فوق الشيطان.

(٢) إن رياضة «السومو» يسيطر عليها اتحاد السومو اليابانى تحت إشراف وزارة التعليم.

(٣) وهو اسم يشير إلى الرداء الأبيض الكبير الذى يحق لكبار المصارعين ارتداؤه حول الخصر فى الاحتفالات، ومن الممكن مشاهدة أردية مماثلة فى معابد «الشنتو».

ومن مرتبة «جونوكوتشى» إلى مرتبة «يوكوزونا» طريق طويل وصعب ولايصل إلى هذه المرتبة إلا قليل جداً من المصارعين. . . ويلاحظ أنه بينما يضطر المصارعون من المراتب الأدنى إلى العمل كخدم والقيام بالأعمال المنزلية. . . فإن «اليوكوزونا» يمكن أن يصبح بطلاً وطنيا، ويستطيع أن يحقق مبالغ ضخمة من الأموال فى شكل جوائز ومكافآت من المشجعين والأنصار إذا فاز فى إحدى الدورات[1].

* * *

* **عادات وتقاليد توجب الانتحار:**

يوجد نوع غريب من الانتحار توجبه وتحث عليه بعض عادات وتقاليد الشعوب المتحضرة والبدائية على حد سواء، من تلك:

١- طريقة «الهاراكيرى» فى اليابان:

وتتمثل بشق البطن بخنجر أو سيف. . . .ويلجأ إليها الفرد باختياره فى الظاهر، وتحت ضغط العادات والتقاليد فى واقع الأمر[2]. .ويحدث هذا لمقاصد شتى، منها أن يقصد بالانتحار التعبير عن ولائه لأحد الرؤساء أو الحكام عقب وفاة هذا الرئيس أو الحاكم. . .ومنها أن يقصد بالانتحار الاحتجاج الشديد على خطأ ارتكبه واحد من هؤلاء، أو ارتكب ضد واحد منهم. .

ومنها أن يكون الانتحار وسيلة لاتقاء مايلحق المنتحر نفسه أو يلحق أهله من خزى إذا وقع أسيراً فى يد الأعداء عقب هزيمة جيش بلاده. .

(١) نشرة اليابان الدورية التى تصدرها سفارة اليابان فى القاهرة.

(٢) أحيانا كانت تسمح الحكومة للمحكوم عليه بالإعدام من طبقة المحاربين «طبقة السمورا» أن ينتحر على طريقة «الهاراكيرى» بدلاً من أن يُشنق أو يُضرب بالرصاص. وكان ذلك ينطوى على تكريم المحكوم عليه، وقد ظل هذا النظام معمولاً به إلى عهد قريب، ثم ألغى بعد ذلك. .

ومنها أن يكون معبراً عن إبراء ذمة المنتحر وغسل شرفه مما علق به من أذى حينما يعجز عن الأخذ بثأره من أحد خصومه.

وقد يحدث للدلالة على ارتياح المنتحر؛ لأنه قد حقق أمانيه فى هذه الدنيا وأصبح فى غير حاجة إلى المزيد من الحياة.

وفى جميع هذه الأحوال يعد الانتحار فى نظر اليابانيين مُطَهِّراً للفرد، ومحققاً لما يبغيه منه، كما يستأهل صاحبه أن يُقام له مأتم فخم، وتحفظ له أمجد الذكريات... ولسمو هذا النوع من الانتحار فى نظر اليابانيين كانت عملياته تجرى قديمًا فى المعابد المقدسة نفسها.

«ومما يلاحظ أن لوحة الشرف للعظماء والخالدين والقديسين من اليابانيين ليست مملوءة بأسماء المصلحين، ولا المحسنين، ولا منشئى الملاجئ والمصحات، بل بأسماء طوائف المنتحرين على طريقة الهاراكيرى»(١).

٢- مظهر الانتحار فى الصين:

كان الانتحار من التقاليد والعادات الصينية التى تحث عليه وتعده شرفا كبيراً للمنتحرين.

ويحدث الانتحار لمقاصد عدة: منها أن ينتحر الجندى أو الموظف عقب هزيمة حلت ببلاده، أو إهانة لحقت بالامبراطور، وينتحر الشاب حينما يلحق أحد شيوخ أسرته إهانة أو مكروه من أحد الناس، ويعجز هو عن أن يثأر له..

وتنتحر المرأة عقب وفاة زوجها للتعبير عن إخلاصها له، وأنه لامعنى للحياة عندها بدونه(٢).

---

(١) ديانات اليابان: جريفس.

(٢) مع أنه قد صدرت عدة قوانين تحظر هذا النوع من الانتحار، فإن العادات الشعبية لاتزال متمسكة به، ولاتزال تنظر إلى الأرملة أو المخطوبة التى تنتحر عقب وفاة زوجها أو خطيبها نظرة إكبار وتعظيم.

وتنظر التقاليد الصينية إلى الذين ينتحرون لفرط ولائهم وإخلاصهم للامبراطور، أو برا بآبائهم وأهليهم وأزواجهم وأصدقائهم نظرة إجلال وتقدير، حيث إن أرواحهم تصعد إلى عليين... فى حين أن الذين ينتحرون خوفًا من عقاب على ما اقترفوه من جرائم يعاقب عليها القانون بالإعدام، أو رغبة فى أن يسبب انتحارهم ضررًا ببرىء ـ سيكون نصيب أرواحهم العذاب الأليم.

وكانت العقيدة السائدة فى الصين القديمة أن أرواح المنتحرين تثأر لنفسها ممن تسببوا فى انتحار أصحابها، فتدفعهم دفعًا إلى محاكاتهم، أو تتولى هى قتلهم خنقًا إن لم يقتلوا أنفسهم بأيديهم!

٣- مظهر الانتحار فى الهند:

ساد الاعتقاد فى بلاد الهند أن الانتحار إذا قصد به التقرب إلى الله أو التضحية بالنفس فى سبيله يصبح فى ذاته عبادة دينية، على أن يتم ذلك فى صورة من الصور التى تحددها التقاليد والعادات.

ومن هذه الصور أن يصوم الشخص عن الطعام والشراب حتى يموت،... أو أن يلطخ جسمه كله بروث البقر[١] ويشعل النار فيه... أو أن يقبر نفسه فى الجليد حتى يقضى نحبه... أو أن يغرق نفسه فى نهر «الجانج» فى أطراف بلاد البنغال وهو يردد عبارات التوبة والندم حتى تفترسه التماسيح... أو أن يذبح نفسه فى مدينة «اللاه آباد» حيث يلتقى نهر «الجانج» بنهر «جومتا»... أو أن يظل على قمة من قمم جبال «الهملايا» حتى يموت من البرد... أو أن يقذف بنفسه من مكان شاهق؛ ليكفر بذلك عن سيئاته.

---

(١) يلاحظ أن البقرة حيوان مقدس فى الديانة الهندية.

ويعد من مظاهر البر والوفاء أن تنتحر المرأة المتوفى عنها زوجها بأن تحرق نفسها. . . وظل هذا التقليد سائداً لديهم إلى عهد قريب، ثم استبدل به انتحار تمثيلى، فكان يكتفى عقب وفاة الزوج بأن يؤتى بكومة حطب وتُشعل فيها النار، ويؤتى بزوجة المتوفى وتمد على هذه الكومة، وتظل كذلك حتى يقرب اللهب منها(١).

وقد ساد فى الهند كذلك تقليد غريب يُطلق عليه اسم «دهارنا». .وهو يعد أعنف إجراء يلجأ إليه الدائن إذا ماطله مَدِينُه. وذلك بأن يذهب إلى بيت مدينه ويتهدده بأن يظل جالسًا أمام بابه حتى يموت من الجوع والعطش والبرد إذا لم يوفه دينه. . . فيتوجس المدين من نتائج هذا الانتحار، فلا يدخر وسعًا فى سداد ما عليه من دَيْن، ولاسيما إذا كان الدائن «برهميًا» يخشى من بطش روحه الشديدة إذا نفذ ما هدد به(٢).

٤-الانتحار عند اليهود:

مع أن الديانة اليهودية تعتبر الانتحار محرمًا يعاقب عليه الرب لتعديه لحدوده، ـ فإن التلمود ـ وهو من أهم كتب التشريع لديهم ـ يغتفر الانتحار، بل يكاد يعده عملاً مجيداً، إذا أقدم عليه قائد جيش يهودى بعد هزيمته حتى لايقع أسيراً، ويلقى المهانة والفضيحة على يد العدو، أو إذا أُكْرِه يهودى على الارتداد عن دينه فآثر الانتحار على الكفر بربه(٣).

٥- الانتحار عند قدامى رجال الكنيسة المسيحية:

كان القدامى من آباء الكنيسة يحبذون الانتحار فى بعض الأحوال، وخاصة فى حالتين، إحداهما: أن ينتحر المسيحى حفاظاً على دينه، إذا أكره على الارتداد عنه.

(١) غرائب النظم والتقاليد والعادات: د. على عبد الواحد وافى.
(٢) المرجع السابق (بتصرف)
(٣) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام: د.على عبد الواحد وافى (بتصرف).

وثانيتهما: أن تنتحر المسيحية البكر حفاظًا على بكارتها إذا رأت نفسها مهددة بزوالها فى السفاح، وفى هذا يقول «لاكتنس»: «إنه لمن أكبر المعاصى أن يقتل المرء نفسه، ولكن عندما يرى المسيحى نفسه مهددًا بالنكال أو العذاب إن لم يرتد عن دينه فأولى له فى مثل هذه الحالة أن يضع حدًّا لحياته بيده لابيد الكفار».

كما ينظر غيره من قدامى رجال الكنيسة المسيحية فى مؤلفاتهم إلى الانتحار نظرة عطف وحنان، إن لم تكن نظرة رضا وقبول، بل إن بعض هؤلاء المنتحرات قد سُجلت أسماؤهن فى لوحة الشرف بين كبار من خَلَّد التاريخ أسماءهم.

ولكن الكنيسة المسيحية فى عصورها التالية قد حرمت الانتحار تحريمًا باتًّا، أيًّا كان الدافع إليه، بل جعلته أشد جُرْمًا من القتل العادى[1].

* * *

* **لغة الإشارة[2] :**

مثلما تختلف لغات البشر ولهجاتهم من مكان لآخر، ومن دولة لأخرى، كذلك تختلف لغة الإشارة، فلكل أبناء دولة أو قبيلة لغة إشارة خاصة، بالأيدى، والأصابع، والرموش، وحركات الرأس، والأوضاع المختلفة التى يتخذها الجسم حسب اختلاف المواقف.

ولغة الإشارة ليست مفهومة بنفس الدرجة أو المعنى لدى كل البشر، فقد تكون إشارة بريئة لدى شخص معين محملة بمعانى الإساءة والاستهزاء عند الآخرين، مثال ذلك:

(١) المرجع السابق.

(٢) مجلة نصف الدنيا: تحقيق بعنوان «كل لبيب بالإشارة» عدد ٤/١١/ ١٩٩٠ (بتصرف).

عندما تطلب امرأة من جزيرة «سردينيا» من سائق التاكسى أن يقف، فإذا كان السائق بريطانيًا فسوف تكون إشارة الموافقة منه برفع أصبعه الإبهام، وهى مايسمونه Thumb up، وبالرغم من أن نيته سليمة فإنه سيواجه سيلاً رابيًا من الشتائم؛ لأن هذه الإشارة تعنى عند أهل جزيرة «سردينيا» أن الراكب متطفل ولن يدفع النقود. . . ويبرز سوء الفهم طبعًا فى حالة الفتاة، فليس فى كل الأحوال سوف تقبل دعوة مجانية للركوب.

أما عند اليابانى فإن هذه الحركة تعنى أن مايطلبه سوف يكون مكلفًا جدا من الناحية المادية.

ويعتقد أبناء تونس أن حركة الإبهام هذه إهانة للشخص؛ لأنها تعنى أنه متشرد ولايساوى شيئًا. . . وفى بعض الحالات تحمل معانى التهديد بالقتل. . .

وإذا أراد أبناء فرنسا أن يعبروا عن شىء ليس له قيمة، فإنهم يستعملون الإشارة بإصبع الإبهام على شكل دائرة، حيث تعنى هذه الإشارة «صفرًا» ولكن شخصًا من «كولومبيا» تغيظه هذه الحركة، ويرد على الفرنسى بأن يضع إبهامه على أنفه لكى يرد الإهانة بمثلها. . . ولكن شخصًا من سوريا إذا شاهد هذه الحركة فإنه يعتقد أن الكولومبى يشتمه ويقول له: اذهب إلى الجحيم.

وفى أثيوبيا الإشارة بالإصبع، والإيماء بالرأس بما يعنى النداء على الشخص المطلوب يعتبرها الأثيوبيون إهانة لاتُغتفر؛ لأنها تعنى أن الشخص المطلوب كلب، حيث يستخدمون هذه الإشارة للكلاب فقط.

أما النداء على البشر فيكون بتحريك الذراع ومَدّ راحة اليد للأمام، مع رفع الذراع وخفضه عدة مرات مثلما نفعل فى مصر عندما ننادى على شخص بعيد لايصل إليه الصوت.

ويعتبر «الخبط» على المنضدة والنداء على «الجرسون» بالهسهسة «أى: س.س.س» رد فعله مذهلاً فى «نيويورك»؛ حيث تعتبر حركة غير مقبولة على الإطلاق.

والإشارة إلى الأُذن التى تفعل عندما نريد من المتكلم أن يعيد كلامه أو يرفع صوته حتى نسمع ـ هذه الإشارة لها عدة معان عند عدة بلاد..

فعند أهل «مالطة» تعنى أن الشخص ثعبان ماكر... وعند «الإيطاليين معناها عدم الرجولة... وعند أهل «اليونان» تحمل معانى القذارة والتطفل، وليس لها معنى طيب إلا لدى «البرتغاليين» حيث تعنى عندهم أن هذا شىء عجيب!

وإشارة رفع راحة اليد فى وجه آخر، والتى تعنى القول له «كفى»، أى التوقف عن الكلام عند المصريين، تعنى عند أهل اليونان إهانة كبيرة أن ترفع يدك فى وجه اليونانى ويسمونها «موتزا»[1].

وإشارة لمس اليد للجفن الأسفل تعنى عند المصريين «من عينى دى لعينى دى»أما هذه الإشارة فى بلدان «أمريكا الجنوبية» فتعنى أن الشخص يريد أن يلقى بشباك الغرام على «السنيورة» التى أمامه.

وللجسم لغته عندما نستخدم الرأس والذراعين والأرجل... ومثال ذلك الإشارة على الرقبة التى يفعلها الأمريكى لكى يستنجد بك من مأزق يمر به، فى حين تغمز البهجة ابن «سوازيلاند» عندما تشير له بإشارة قطع الرقبة؛ لأنها تعنى عندهم الحب.

---

(١) يلاحظ أنهم قد توارثوا هذا المعنى من البيزنطيين، حيث كان المجرمون يُقتادون عبر الطرقات ملطخة وجوههم بالقاذورات، ولايستعملون حرف «V» علامة النصر بفرد الإصبعين السبابة والوسطى؛ لأن هذه الإشارة تعنى «نصف موتزا»

وإشارة وضع الإصبع على الشفتين، والتى تعنى فى مصر طلب السكوت، . . نجدهم فى أثيوبيا يستعملون أربع أصابع عندما يشيرون بالسكوت إلى شخص بالغ. . . وتحريك أصبع السبابة يميناً ويساراً عندما نريد فى مصر التعبير عن النفى والاستنكار والرفض نجد الأمريكيين يستعملون هذه الإشارة للصغار فقط.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

المراجع

مراجع عربية:

* القرآن الكريم.
* لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل بن منظور ـ تحقيق عبد الله الكبير، وآخرين.
* الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام: الدكتور على عبد الواحد وافى.
* غرائب النظم والتقاليد والعادات: الدكتور على عبد الواحد وافى.
* الهنود الحمر: الدكتور على عبد الواحد وافى.
* العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية: الدكتور أحمد على المجدوب.
* ديانات اليابان: جريفس.
* الثورة الجنسية: جورج بالوتشى، ترجمة الدكتورة سامية أسعد.
* قصة الزواج: إدوارد ويسترمارك، ترجمة عبد المنعم الزيادى.
* الغرب والعالم (الجزء الثانى): كافين رايلى ـ ترجمة الدكتور عبد الوهاب المسيرى.
* البدائية: إشلى مونتاغيو، ترجمة الدكتور محمد عصفور.
* الحياة والجنس فى المجتمعات البدائية: مرجريت ميد.
* الكونغو الفرنسية: فاليـــين مشاليه.

obeikandl.com

* الثقافات الإفريقية:	محمد عبد الفتاح إبراهيم
* نساء العالم كما رأيتهن:	محمد ثابت.
* أمريكا اللاتينية اليوم:	روبرت ج ألكسندر، ترجمة رمزى يسى.
* سويسرا: شعبها وأرضها:	ليليان براجدون، ترجمة كمال الملاخ.
* الشعوب السامية البدوية:	المؤرخ اليونانى سترابون.
* أوغندا:	محمد عبد المنعم يونس.
* أثيوبيا:	حسن محمد جوهر «سلسلة شعوب العالم»
* جنوب إفريقيا:	حسن محمد جوهر «سلسلة شعوب العالم».
* إيران من الداخل:	فهمى هويدى.

مراجع أجنبية:

- le congo Firancais: Felicien challaye
- Du latin "levir" Frére du mari: Levirat
- la vie et le droit de kipsigis de Keny: Peristiany

obeikandl.com

* **بحوث ودراسات:**

* قبائل «البلوش» بباكستان. [مجلة الشرق الأوسط ١٨/ ٣/ ١٩٩٢].
* قبيلة «ميليا» بغينيا الجديدة. [مجلة الشرق الأوسط ١٠/ ٧/ ١٩٩١]
* قبائل «الغجر». [مجلة الشرق الأوسط ٩/ ٩/ ١٩٩٢]
* قبيلة «الودابى» بالنيجر(١). [مجلة الشرق الأوسط ٩/ ١٠/ ١٩٩١]
* قبيلة «الهيمبا» بزامبيا وانجولا. [مجلة الشرق الأوسط ١٨/ ٩/ ١٩٩١]
* قبائل «التانجاس» بسيبيريا. [مجلة الشرق الأوسط ٩/ ٩/ ١٩٩٢]
* قبيلة «البشارية» بأثيوبيا. [مجلة الشرق الأوسط ٢٤/ ٢/ ١٩٩٣].
* قبيلة «إلافى» بزائير. [مجلة الشاهد، عدد أكتوبر ١٩٩٠].
* قبيلة «هونزا» بحدود أفغانستان وكشمير. [مجلة الكويت، عدد مارس ١٩٩٠].
* قبيلة «المابوشى الهندية» بشيلى. [مجلة الكويت، عدد مايو ١٩٩٣].
* جماعة الفيزو» بمدغشقر. [مجلة الشاهد، عدد يونيو ١٩٩١].
* قبيلة الرشايدة بالسوادان(٢). [مجلة الفيصل، عدد ديسمبر ١٩٩١].
* قبيلة «الأزيرا» بغينيا الجديدة. [مجلة المختار «ريدرزدايجست»، عدد مارس ١٩٦٤].
* قبيلة «الآباش» الهندية بأمريكا. [مجلة الفيصل، عدد فبراير ١٩٩٢].
* جماعات «اليوربا» بجنوب غرب نيجيريا. [مجلة العربى، عدد فبراير ١٩٩٢].
* نظام الزواج فى قبيلة «التوارج» بالنيجر. [مجلة نصف الدينا، ١٩/ ٧/ ١٩٩٢].

(١) هناك دراسة نشرتها أيضًا مجلة الفيصل فى عددها الصادر فى يونيو ١٩٩٣.
(٢) وهناك دراسة نشرتها أيضًا مجلة سيدتى فى عددها الصادر فى ٧ من يناير ١٩٩١.

obeikandl.com

* عادات الزواج فى قبيلة «الليبابور» بأثيوبيا. [مجلة سيدتى ١١/ ١٠/ ١٩٩٢].
* نظام الزواج فى قبيلة «العبابدة». [مجلة سيدتى ٨/ ٤/ ١٩٩١].
* عادات الزواج فى بلاد «النوبة» بمصر. [زهرة الخليج ٢٦/ ٦/ ١٩٩٣].
* قرية «نان شان» إحدى القرى الصينية. [مجلة الفيصل، عدد أكتوبر ١٩٩١].
* تنظيم النسل فى المجتمعات القبلية. [مجلة العربى، عدد نوفمبر ١٩٨٦].
* المصافحة اليدوية عند الشعوب. [مجلة الشرق الأوسط ١٤/ ١٠/ ١٩٩٢].
* سوق النساء بالسودان. [مجلة سيدتى ٣١/ ١٢/ ١٩٩٠].
* وأد البنات فى الهند. [مجلة الشرق الأوسط ٢٠/ ١٠/ ١٩٨٨].
* خصيان العالم فى الهند. [مجلة الشاهد، عدد مارس ١٩٩٠].
* من ضلالات البشر. [المجلة العربية، عدد أكتوبر ١٩٨٨].
* عادة الاحتفال بسبوع المولود فى مصر. [مجلة العربى، عدد مايو ١٩٩٣].
* رياضة تشى قونغ بالصين القديمة. [مجلة العربى، عدد ديسمبر ١٩٨٩].
* لغة الإشارة عند الشعوب. [مجلة نصف الدنيا ٤/ ١١/ ١٩٩٠].
* الخلافة على الأرامل، ووراثة النساء. [مجلة العربى، عدد يناير ١٩٧٤].
* ماذا على الفتاة أن تفعله عند بلوغها. [المجلة العربية، عدد يونيو ١٩٨٦].
* الوشم عند العرب فى أزمان قديمة. [مجلة الشرق الأوسط ٢٤/ ٦/ ١٩٩٢].
* حكاية الوشم. [مجلة الشاهد، عدد يوليو ١٩٨٩].

obeikandl.com

* التفرقة العنصرية فى اليابان. [مجلة المختار «ريدرز دايجست، عدد يناير ١٩٦٤].
* الشيطان عند الإفريقيين. [مجلة الهلال، عدد مايو ١٩٧٤].
* المخدرات علنًا فى ـ أمستردام بهولندا. [صحيفة الحوادث ١٤/ ١/ ١٩٩٣].

* بحث أجراه العالم «روبرت كوجلان» لمحاولة التعرف على أساليب السحر فى إفريقيا، وقد نوهت بالبحث مجلة لايف فى أحد أعدادها.
* مقتطفات من مجلات دورية وصحف غير معلومة المصدر قد أثبتناها لمقدار أهميتها لموضوع الكتاب.

obeikandl.com